بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تفسير سورة سبحان وهي مكية ﴾

قال الإمام الحافظ المتقن أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري : حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا شعبة عن أبي إسحق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد سمعت ابن مسعود رضي الله عنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم : إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا حماد بن زيد عن مروان عن أبي لبابة سمعت عائشة تقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول مايريد أن يفطر ، ويفطر حتى نقول مايريد أن يصوم وكان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

يمجد تعالى نفسه ، ويعظم شأنه ، لقدرته على مالا يقدر عليه أحد سواه ، فلا إله غيره ولا رب سواه ، (الذي أسرى بعبده) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم (ليلا) أي في جنح الليل (من المسجد الحرام) وهو مسجد مكة (إلى المسجد الأقصى) وهو بيت المقدس الذي بإيلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام ولهذا جمعوا له هناك كلهم فأمهم في محلتهم ودارهم فدل على أنه هو الإمام الأعظم ، والرئيس المقدم ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين . وقوله تعالى (الذي باركنا حوله) أي في الزروع والثمار (لنريه) أي محمداً (من آياتنا) أي العظام كما قال تعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) وسنذكر من ذلك ما وردت به السنة من الأحاديث عنه صلى الله عليه وسلم ، وقوله تعالى (إنه هو السميع البصير) أي السميع لأقوال عباده مؤمنهم وكافرهم ، مصدقهم ومكذبهم ، البصير بهم فيعطي كلا منهم مايستحقه في الدنيا والآخرة

﴿ ذكر الأحاديث الواردة في الإسراء : رواية أنس بن مالك رضي الله عنه ﴾

قال الإمام أبو عبد الله البخاري : حدثني عبد العزيز بن عبد الله حدثنا سليمان ـ هو ابن بلال ـ عن شريك بن عبد الله قال : سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة إنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو ؟ فقال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم ، فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه ـ وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ـ فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل مابين نحره إلى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتي بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشو إيماناً وحكمة فحشا به صدره ولغاديده ـ يعني عروق حلقه ـ ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب باباً من أبوابها فناداه أهل السماء من هذا ؟ فقال جبريل ، قالوا ومن معك ؟ قال معي محمد قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم قالوا فمرحباً به وأهلا ، يستبشر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض حتى يعلمهم ، فوجد في السماء الدنيا آدم فقال له جبريل هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلم عليه وردّ عليه آدم فقال مرحباً

وأهلا بابنى نعم الابن أنت ، فإذا هو فى السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال « ماهذان النهران يا جبريل ؟ » قال هذان النيل والفرات عنصرهما ، ثم مضى به فى السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا الكوثر الذى خبأ لك ربك ، ثم عرج به إلى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الملائكة الأولى من هذا ؟ قال جبريل قالوا ومن معك ؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا ، ثم عرج به إلى السماء الثالثة فقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية ثم عرج به إلى السماء الرابعة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء السادسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فوعيت منهم إدريس فى الثانية وهارون فى الرابعة وآخر فى الخامسة لم أحفظ اسمه وإبراهيم فى السادسة وموسى فى السابعة بتفضيل كلام الله تعالى فقال موسى رب لم أظن أن ترفع على أحدا ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله عز وجل حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى ، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الله إليه فيما يوحى خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ثم هبط به حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد ماذا عهد إليك ربك ؟ قال « عهد إلى خمسين صلاة كل يوم وليلة » قال إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم إلى جبريل كأنه يستشيره فى ذلك فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت فعلا به إلى الجبار تعالى وتقدس فقال وهو فى مكانه « يا رب خفف عنا فان أمتى لا تستطيع هذا » فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع إلى موسى فاحتبسه فلم يزل يرده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يا محمد والله لقد راودت بنى إسرائيل قومى على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه فأمتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبدانا وأبصارا وأسماعا فارجع فليخفف عنك ربك ، كل ذلك يلتفت النبى صلى الله عليه وسلم إلى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال « يا رب إن أمتى ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وأبدانهم فخفف عنا » فقال الجبار تبارك وتعالى : يا محمد قال « لبيك وسعديك » قال إنه لا يبدل القول لدى كما فرضت عليك فى أم الكتاب فكل حسنة بعشر أمثالها فهى خمسون فى أم الكتاب وهى خمس عليك ، فرجع إلى موسى فقال كيف فعلت ؟ فقال « خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها » قال موسى قد والله راودت بنى إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه فارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا موسى قد والله استحييت من ربى عز وجل مما أختلف إليه » قال فاهبط باسم الله . قال واستيقظ وهو فى المسجد الحرام ، هكذا ساقه البخارى فى كتاب التوحيد ورواه فى صفة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن إسماعيل بن أبى أويس عن أخيه أبى بكر عبد الحميد عن سليمان بن بلال . ورواه مسلم عن هرون بن سعيد عن ابن وهب عن سليمان قال فزاد ونقص وقدم وأخر وهو كما قال مسلم فإن شريك بن عبد الله بن أبى نمر اضطرب فى هذا الحديث وساء حفظه ولم يضبطه كما سيأتى بيانه إن شاء الله فى الآحاديث الأخر ومنهم من يجعل هذا مناما توطئة لما وقع بعد ذلك والله أعلم . وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقى فى حديث شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم أنه صلى الله عليه وسلم رأى الله عز وجل يعنى قوله ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى . قال وقول عائشة وابن مسعود وأبى هريرة فى حملهم هذه الآيات على رؤيته جبريل أصح وهذا الذى قاله البيهقى رحمه الله فى هذه المسألة هو الحق فإن أبا ذر قال يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ قال « نور أنى أراه » وفى رواية « رأيت نورا » أخرجه مسلم وقوله (ثم دنا فتدلى) إنما هو جبريل عليه السلام كما ثبت ذلك فى الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين ، وعن ابن مسعود وكذلك هو فى صحيح مسلم عن أبى هريرة ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة فى تفسير هذه الآية بهذا

وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت البنانى عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته

فسار بى حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التى يربط فيها الأنبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فأتانى جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل : أصبت الفطرة قال ثم عرج بى إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل إليه ؟ قال قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل إليه ؟ قال قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا أنا بابنى الخالة يحيى وعيسى فرحبا بى ودعوا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟ قال جبريل قيل ومن معك قال ؟ محمد قيل وقد أرسل إليه ؟ قال قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام وإذا هو قد أعطى الشطر الحسن فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال جبريل فقيل ومن معك ؟ قال محمد فقيل وقد أرسل إليه ؟ قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب بى ودعا لى بخير ثم يقول الله تعالى (ورفعناه مكانا عليا) ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ قال جبريل فقيل ومن معك ؟ قال محمد فقيل قد أرسل إليه ! قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بهارون فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك ! قال محمد فقيل وقد بعث إليه ! قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت ! قال جبريل قيل ومن معك ! قال محمد فقيل. وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام وإذا هو مستند إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه ، ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع أن يصفها من حسنها قال فأوحى الله إلى ما أوحى ، وقد فرض على فى كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتى أتيت إلى موسى قال ما فرض ربك على أمتك ! قلت خمسين صلاة فى كل يوم وليلة قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فان أمتك لا تطيق ذلك وإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم قال فرجعت إلى ربى فقلت أى رب خفف عن أمتى فحط عنى خمسا فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال ما فعلت فقلت قد حط عنى خمسا فقال إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك قال فلم أزل أرجع بين ربى وبين موسى ويحط عنى خمسا خمسا حتى قال : يا محمد هن خمس صلوات فى كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب فان عملها كتبت سيئة واحدة . فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك فان أمتك لا تطيق ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد رجعت إلى ربى حتى استحييت » ورواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن حماد بن سلمة بهذا السياق وهو أصح من سياق شريك . قال . البيهقى وفى هذا السياق دليل على أن المعراج كان ليلة أسرى به عليه الصلاة والسلام من مكة إلى بيت المقدس وهذا الذى قاله هو الحق الذى لاشك فيه ولامرية ، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة أسرى به مسرجا ملجما ليركبه فاستصعب عليه فقال له جبريل ما يحملك على هذا فوالله ما ركبك قط أكرم على الله منه . قال فارفض عرقا ورواه الترمذى عن إسحق بن منصور عن عبد الرزاق وقال غريب لا نعرفه إلا من حديثه . وقال أحمد أيضا حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان حدثنى راشد بن سعيد وعبد الرحمن بن جبير عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما عرج بى إلى ربى عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم » وأخرجه أبو داود من حديث صفوان بن عمرو به ومن وجه آخر ليس فيه أنس فالله أعلم ، وقال أيضا حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن سليمان التيمى عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة أسرى بى على موسى عليه السلام قائما يصلى فى قبره » ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة عن سليمان بن طرخان

التيمى وثابت البنانى كلاهما عن أنس قال النسائى هـذا أصح من رواية من قال سليمان عن ثابت عن أنس ، وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده حدثنا وهب بن بقية حدثنا خالد عن التيمى عن أنس قال أخبرنى بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به مر على موسى وهو يصلى فى قبره ، وقال أبو يعلى حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعرة حدثنا معتمر عن أبيه قال سمعت أنسا أن النبى صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به مر بموسى وهو يصلى فى قبره قال أنس ذكر أنه حمل على البراق فأوثق الدابة أو قال الفرس . قال أبو بكر صفها لى فقال رسول الله ﷺ « هى كذه وذه » فقال أشهد أنك رسول الله وكان أبو بكر رضى الله عنه قد رآها ، وقال الحافظ أبو بكر أحمد ابن عمرو البزار فى مسنده حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن منصور حدثنا الحارث بن عبيد عن أبى عمران الجونى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينا أنا نائم إذ جاء جبريل عليه السلام فوكز بين كتفى فقمت إلى شجرة فيها كوكرى الطير فقعد فى أحدهما وقعدت فى الآخر فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين وأنا أقلب طرفى ولو شئت أن أمس السماء لمسست فالتفت إلى جبريل كأنه حلس لاط فعرفت فضل علمه بالله على وفتح لى باب من أبواب السماء فرأيت النور الأعظم وإذا دون الحجاب رفرف الدر والياقوت وأوحى إلى ما شاء الله أن يوحى » ثم قال ولا نعلم روى هذا الحديث إلا أنس ولا نعلم رواه عن أبى عمران الجونى إلا الحارث ابن عبيد وكان رجلا مشهوراً من أهل البصرة . ورواه الحافظ البيهقى فى الدلائل عن أبى بكر القاضى عن أبى جعفر محمد بن على بن دحيم عن محمد بن الحسين بن أبى الحسين عن سعيد بن منصور فذكره بسنده مثله ثم قال وقال غيره فى هذا الحديث فى آخره ولط دونى أو قال دون الحجاب رفرف الدر والياقوت ثم قال هكذا رواه الحارث ابن عبيد ورواه حماد بن سلمة عن أبى عمران الجونى عن محمد بن عمير بن عطارد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى ملإ من أصحابه فجاء جبريل فنكت فى ظهره فذهب به إلى الشجرة وفيها مثل وكرى الطير فقعد فى أحدهما وقعد جبريل فى الآخر فنشأت بناحتى بلغت الأفق فلو بسطت يدى إلى السماء لنلتها فدلى بسبب وهبط إلى النور فوقع جبريل مغشيا عليه كأنه حلس فعرفت فضل خشيته على خشيتى فأوحى إلى نبيا ملكا أو نبيا عبدا وإلى الجنة ما أنت فأومأ إلى جبريل وهو مضطجع أن تواضع قال قلت لا بل نبياً عبداً قلت وهذا إن صح يقتضى أنها واقعة غير ليلة الإسراء فإنه لم يذكر فيها بيت المقدس ولا الصعود إلى السماء فهى كائنة غير ما نحن فيه والله أعلم . وقال البزار أيضا حدثنا عمرو بن عيسى حدثنا أبو بحر حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه عزوجل . وهذا غريب . وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا يونس حدثنا عبد الله بن وهب حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن الزهرى عن أبيه عن عبد الرحمن ابن هاشم بن عتبة بن أبى وقاص عن أنس بن مالك قال : لما جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق فكأنها حركت ذنبها فقال لها جبريل مه يا براق فوالله ما ركبك مثله وسار رسول الله تعالى عليه وسلم فإذا هو بعجوز على جانب الطريق فقال « ما هذه يا جبريل ؟ » قال سر يا محمد ، قال فسار ما شاء الله أن يسير فإذا شىء يدعوه متنحيا عن الطريق فقال هلم يا محمد فقال له جبريل سر يا محمد فسار ما شاء الله أن يسير ، قال فلقيه خلق من خلق الله فقالوا السلام عليك يا أول ، السلام عليك يا آخر ، السلام عليك يا حاشر ، فقال له جبريل اردد السلام يا محمد فرد السلام ، ثم لقيه الثانية فقال له مثل مقالته الأولى ثم الثالثة كذلك حتى انتهى إلى بيت المقدس فعرض عليه الخمر والماء واللبن فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن فقال له جبريل أصبت الفطرة ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك ، ولو شربت الخمر لغويت ولغوت أمتك ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء عليهم السلام فأمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة . ثم قال له جبريل : أما العجوز التى رأيت على جانب الطريق فلم يبق من الدنيا إلا كما بقى من عمر تلك العجوز . وأما الذى أراد أن تميل إليه فذاك عدو الله إبليس أراد أن تميل إليه ، وأما الذين سلموا عليك فإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، وهكذا رواه الحافظ البيهقى فى دلائل النبوة من حديث ابن وهب . وفى بعض ألفاظه نكارة وغرابة ﴿ طريق أخرى ﴾ عن أنس بن مالك وفيها غرابة ونكارة جداً وهى فى سنن النسائى

المجتبي ولم أرها في الكبير قال : حدثنا عمرو بن هشام حدثنا مخلد هو ابن الحسين عن سعيد بن عبد العزيز حدثنا يزيد بن أبي مالك حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل خطوها عند منتهى طرفها فركبت ومعي جبريل عليه السلام فسرت فقال انزل فصل فصليت ، فقال أتدري أين صليت ؟ صليت بطيبة وإليها المهاجرة ، ثم قال انزل فصل فصليت فقال أتدري أين صليت ؟ صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى ؛ ثم قال انزل فصل فصليت، فقال أتدري أين صليت ، صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام ، ثم دخلت بيت المقدس فجمع لي الأنبياء عليهم السلام فقدمني جبريل عليه السلام حتى أممتهم ثم صعد بي إلى السماء الدنيا فإذا فيها آدم عليه السلام ، ثم صعد بي إلى السماء الثانية فإذا فيها ابنا الخالة عيسى ويحيى عليهما السلام ، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فإذا فيها يوسف عليه السلام ، ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فإذا فيها هارون عليه السلام ، ثم صعد بي إلى السماء الخامسة فإذا فيها إدريس عليه السلام . ثم صعد بي إلى السماء السادسة فإذا فيها موسى عليه السلام ، ثم صعد بي إلى السماء السابعة فإذا فيها إبراهيم عليه السلام ، ثم صعد بي فوق سبع سموات وأتيت سدرة المنتهى فغشتني ضبابة فخررت ساجداً فقيل لي إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك فرجعت بذلك حتى أمر بموسى عليه السلام فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة ، قال فانك لا تستطيع ان تقوم بها لا أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فرجعت إلى ربي فخفف عني عشراً ، ثم أتيت موسى فأمرني بالرجوع فرجعت فخفف عني عشراً ثم ردت إلى خمس صلوات ، قال فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فانه فرض على بني إسرائيل صلاتين فما قاموا بهما فرجعت إلى ربي عزوجل فسألته التخفيف فقال إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمس صلوات فخمس بخمسين فقم بها أنت وأمتك ، قال فعرفت أنها من الله عزوجل صريّ فرجعت إلى موسى عليه السلام فقال ارجع فعرفت أنها من الله عزوجل صريّ — يقول أي حتم — فلم أرجع » ﴿ طريق أخرى ﴾ وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام ابن عمار حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : لما كان ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس أتاه جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل حمله جبريل عليها ينتهي خفها حيث ينتهي طرفها ، فلما بلغ بيت المقدس وبلغ المكان الذي يقال له باب محمد صلى الله عليه وسلم أتى إلى الحجر الذي ثمة فغمزه جبريل بأصبعه فثقبه ثم ربطها ثم صعد فلما استويا في صرحة المسجد قال جبريل يا محمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين ؟ فقال « نعم » فقال فانطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن وهن جلوس عن يسار الصخرة ، قال « فأتيتهن فسلمت عليهن فرددن علي السلام فقلت من أنتن فقلن نحن خيرات حسان نساء قوم أبرار نقوا فلم يدرنوا . وأقاموا فلم يظعنوا ، وخلدوا فلم يموتوا ، قال ثم انصرفت فلم ألبث إلا يسيراً حتى اجتمع ناس كثير ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة قال فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فأخذ بيدي جبريل عليه السلام فقدمني فصليت بهم ، فلما انصرفت قال جبريل يا محمد أتدري من صلى خلفك — قال — قلت لا — قال — صلى خلفك كل نبي بعثه الله عز وجل — قال — ثم أخذ بيدي جبريل فصعد بي إلى السماء فلما انتهينا إلى الباب استفتح فقالوا من أنت ؟ قال أنا جبريل ، قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث إليه قال نعم — قال — ففتحوا له وقالوا مرحباً بك وبمن معك — قال — فلما استوى على ظهرها إذا فيها آدم فقال لي جبريل يا محمد ألا تسلم على أبيك آدم — قال — قلت بلى فأتيته فسلمت عليه فرد علي وقال مرحبا بابني الصالح والنبي الصالح — قال — ثم عرج بي إلى السماء الثانية فاستفتح فقالوا من أنت قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد ، قالوا وقد بعث إليه قال نعم ففتحوا له وقالوا مرحباً بك وبمن معك فإذا فيها عيسى وابن خالته يحيى عليهما السلام ، — قال — ثم عرج بي إلى السماء الثالثة فاستفتح، قالوا من أنت؟ قال جبريل؛ قالوا ومن معك ؟ قال محمد قالوا وقد بعث إليه؟ قال نعم ففتحوا له وقالوا مرحباً بك وبمن معك فإذا فيها يوسف عليه السلام ، ثم عرج بي إلى السماء الرابعة فاستفتح قالوا من أنت ؟ قال جبريل ، قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث إليه قال نعم — قال — ففتحوا له وقالوا له مرحباً بك

وبمن معك فإذا فيها إدريس عليه السلام ـ قال ـ فعرج بى إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقالوا من أنت قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد ، قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم ـ قال ـ ففتحوا وقالوا مرحباً بك وبمن معك وإذا فيها هرون عليه السلام ، ثم عرج بى إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقالوا من أنت ، قال جبريل ، قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم ـ قال ـ ففتحوا وقالوا مرحباً بك وبمن معك ، وإذا فيها موسى عليه السلام ، ثم عرج بى إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقالوا من أنت قال جبريل ، قالوا ومن معك قال محمد ، قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم ففتحوا له وقالوا مرحباً بك وبمن معك وإذا فيها إبراهيم عليه السلام فقال جبريل يامحمد ألا تسلم على أبيك إبراهيم ؟ قلت بلى فأتيته فسلمت عليه فرد على السلام وقال مرحباً بابنى الصالح والنبى الصالح ، ثم انطلق بى على ظهر السماء السابعة حتى انتهى بى إلى نهر عليه خيام اللؤلؤ والياقوت والزبرجد وعليه طير خضر أنعم طير رأيت فقلت ياجبريل إن هذا الطير لناعم قال يامحمد آكله أنعم منه ، ثم قال يامحمد أتدرى أى نهر هذا ـ قال ـ قلت لا ، قال هذا الكوثر الذى أعطاك الله إياه فإذا فيه آنية الذهب والفضة يجرى على رضراض من الياقوت والزمرذ ماؤه أشد بياضاً من اللبن ـ قال ـ فأخذت من آنيته آنية من الذهب فاغترفت من ذلك الماء فشربت فإذا هو أحلى من العسل وأشد رائحة من المسك ثم انطلق بى حتى انتهيت إلى الشجرة فغشيتنى سحابة فيها من كل لون فرفضنى جبريل وخررت ساجدا لله عز وجل فقال الله لى : يا محمد انى يوم خلقت السموات والأرض افترضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك ـ قال ـ ثم انجلت عنى السحابة فأخذ بيدى جبريل فانصرفت سريعا فأتيت على إبراهيم فلم يقل لى شيئاً ، فأتيت على موسى فقال ماصنعت يامحمد ؟ فقلت فرض ربى علىّ وعلى أمتى خمسين صلاة . قال فلن تستطيعها أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك فرجعت سريعاً حتى انتهيت إلى الشجرة فغشيتنى السحابة ورفضنى جبريل وخررت ساجدا وقلت رب إنك فرضت علىّ وعلى أمتى خمسين صلاة ولن أستطيعها أنا ولا أمتى فخفف عنا قال قد وضعت عنكم عشرا ـ قال ـ ثم انجلت عنى السحابة وأخذ بيدى جبريل ـ قال ـ فانصرفت سريعاً حتى أتيت على إبراهيم فلم يقل لى شيئاً ثم أتيت على موسى فقال لى ماصنعت يامحمد ؟ فقلت وضع عنى ربى عشرا قال فأربعون صلاة لن تستطيعها أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنكم . فذكر الحديث كذلك إلى خمس صلوات وخمس بخمسين ثم أمره موسى أن يرجع فيسأله التخفيف فقلت إنى قد استحييت منه تعالى » قال ثم انحدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل «مالى لم آت أهل سماء إلا رحبوا بى وضحكوا لى غير رجل واحد فسلمت عليه فرد على السلام ورحب بى ولم يضحك لى» قال يا محمد ذاك مالك خازن جهنم لم يضحك منذ خلق ولو ضحك إلى أحد لضحك إليك ، قال ثم ركب منصرفا فبينا هو فى بعض الطريق مر بعير لقريش تحمل طعاما منها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذى بالعير نفرت منه واستدارت وصرع ذلك البعير وانكسر ، ثم إنه مضى فأصبح فأخبر عما كان فلما سمع المشركون قوله أتوا أبا بكر فقالوا يا أبا بكر هل لك فى صاحبك ؟ يخبر أنه أتى فى ليلته هذه مسيرة شهر ورجع فى ليلته فقال أبو بكر رضى الله عنه إن كان قاله فقد صدق وإنا لنصدقه فيما هو أبعد من هذا لنصدقه على خبر السماء فقال المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماعلامة ماتقول قال «مررت بعير لقريش وهى فى مكان كذا وكذا فنفرت الإبل منا واستدارت وفيها بعير عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فصرع فانكسر» فلما قدمت الغير سألوهم فأخبروهم الخبر على على مثل ماحدثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذلك سمى أبو بكر الصديق وسألوه وقالوا هل كان فيمن حضر معك موسى وعيسى ؟ قال «نعم» قالوا فصفهم لنا قال «نعم أما موسى فرجل آدم كأنه من رجال أزد عمان ، وأما عيسى فرجل ربعة سبط تعلوه حمرة كأنما يتحادر من شعره الجمان » هذا سياق فيه غرائب عجيبة ﴿ رواية أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام قال سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك أن مالك بن صعصعة حدثه أن نبى الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال « بينا أنا فى الحطيم ـ وربما قال قتادة فى الحجر ـ مضطجعا إذ أتانى آت فجعل يقول لصاحبه الأوسط بين الثلاثة ـ قال ـ فأتانى فقد ـ سمعت قتادة يقول فشق ـ مابين هذه

إلى هـذه » وقال قتادة فقلت للجارود وهو إلى جنبي مايعنى قال من ثغرة نحره إلى شعرته وقد سمعته يقول من قصته إلى شعرته قال «فاستخرج قلبي ـ قال ـ فأتيت بطست من ذهب مملوء إيمانا وحكمة فغسل قلبي ثم حشى ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض » قال فقال الجارود هو البراق يا أبا حمزة ؟ قال نعم يقع خطوه عند أقصى طرفه قال «فحملت عليه فانطلق بى جبريل عليه السلام حتى أتى بى إلى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل أو قد أرسل إليه ؟ قال نعم فقيل مرحباً به ولنعم المجيء جاء ـ قال ـ ففتح لنا فلما خلصت فإذا فيها آدم عليه السلام قال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا فقال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد قيل أوقد أرسل إليه ؟ قال نعم قيل مرحباً به ولنعم المجيء جاء ـ قال ـ ففتح لنا فلما خلصت فإذا عيسى ويحيى وهما ابنا الخالة قال هذان يحيى وعيسى فسلم عليهما ـ قال ـ فسلمت فردا السلام ثم قالا مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد قيل أو قد أرسل إليه؟ قال نعم قيل مرحباً به ولنعم المجيء جاء ـ قال ـ ففتح لنا فلما خلصت إذا يوسف عليه السلام قال هذا يوسف ـ قال ـ فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل أوقد أرسل إليه ؟ قال نعم قيل مرحباً به ولنعم المجيء جاء ـ قال ـ ففتح لنا فلما خلصت فإذا إدريس عليه السلام قال هذا إدريس قال فلما فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ـ قال ـ ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل أوقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحباً به ولنعم المجيء جاء ففتح لنا فلما خلصت فاذا هرون عليه السلام قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ـ قال ـ ثم صعد حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل أوقد أرسل إليه ؟ قال نعم قيل مرحباً به ولنعم المجيء جاء ففتح لنا فلما خلصت فإذا أنا بموسى عليه السلام قال هذا موسى عليه السلام فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالأخ صالح والنبي الصالح ـ قال ـ فلما تجاوزته بكى قيل له ما يبكيك قال أبكى لأن غلاماً بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتى . قال ثم صعد حتى أتى السماء السابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد بعث إليه قال نعم قيل مرحباً به ولنعم المجيء جاء قال ففتح لنا فلما خلصت فإذا إبراهيم عليه السلام فقال هذا إبراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح ـ قال ـ ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة فقال هذه سدرة المنتهى قال وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل ؟ قال أما الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ـ قال ـ ثم رفع إلى البيت المعمور» قال قتادة وحدثنا الحسن عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألفاً ثم لايعودون فيه ثم رجع إلى حديث أنس قال« ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل ـ قال ـ فأخذت اللبن قال هـذه الفطرة أنت عليها وأمتك ـ قال ـ ثم فرضت علىّ الصلاة خمسين صلاة كل يوم ـ قال ـ فنزلت حتى أتيت موسى فقال مافرض ربك على أمتك ؟ قال فقلت خمسين صلاة كل يوم قال إن أمتك لاتستطيع خمسين صلاة وإنى قد خبرت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ـ قال ـ فرجعت فوضع عنى عشرا ـ قال ـ فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت ؟ قلت بأربعين صلاة كل يوم قال إن أمتك لاتستطيع أربعين صلاة كل يوم وإنى قد خبرت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ـ قال ـ فرجعت فوضع عنى عشراً أخر فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت فقلت أمرت بثلاثين صلاة قال إن أمتك لاتستطيع ثلاثين صلاة كل يوم وإنى قد خبرت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ـ قال ـ فرجعت فوضع عنى عشراً أخر فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت ؟ قلت بعشرين صلاة كل يوم فقال إن أمتك لاتستطيع

لعشرين صلاة كل يوم وإنى قد خبرت الناس قبلك وعالجت بنى إسرئيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال فرجعت فوضع عنى عشراً أخر فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت ؟ فقلت أمرت بعشر صلوات كل يوم فقال إن أمتك لا تستطيع لعشر صلوات كل يوم وإنى قد خبرت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ـ قال ـ فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت فقلت أمرت بخمس صلوات كل يوم فقال إن أمتك لا تستطيع لخمس صلوات كل يوم وإنى قد خبرت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ـ قال ـ قلت قد سألت ربى حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم فنفذت فنادى مناد قد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى » وأخرجاه فى الصحيحين من حديث قتادة بنحوه . ﴿رواية أنس عن أبى ذر﴾ قال البخارى حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أنس ابن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال « فرج عن سقف بيتى وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه ثم أخذ بيدى فعرج بى إلى السماء الدنيا فلما جئت إلى السماء قال جبريل لخازن السماء افتح قال من هذا قال جبريل قال هل معك أحد قال نعم معى محمد صلى الله عليه وسلم فقال أرسل إليه ؟ قال نعم فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة إذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحباً بالنبى الصالح والابن الصالح ـ قال ـ قلت لجبريل من هذا قال وهذا آدم هذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة التى عن شماله أهل النار فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى ثم عرج بى إلى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال له الأول ففتح» قال أنس فذكر أنه وجد فى السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم فى السماء الدنيا وإبراهيم فى السماء السادسة قال أنس فلما مر جبريل والنبى صلى الله عليه وسلم بادريس قال مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح فقلت من هذا قال إدريس ثم مر بموسى فقال مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح فقلت من هذا قال موسى ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح قلت من هذا ؟ قال هذا عيسى ثم مررت بإبراهيم فقال مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح قلت من هذا قال هذا إبراهيم قال الزهرى فأخبرنى ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصارى كانا يقولان قال النبى ﷺ « ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام» قال ابن حزم وأنس بن مالك قال رسول الله ﷺ «ففرض الله على أمتى خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى عليه السلام فقال ما فرض الله على أمتك قلت فرض خمسين صلاة قال موسى فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فرجعت فوضع شطرها فرجعت إلى موسى قلت وضع شطرها فقال ارجع إلى ربك فان أمتك لا تطيق ذلك فرجعت فوضع شطرها فرجعت إليه فقال ارجع إلى ربك فان أمتك لا تطيق ذلك فراجعته فقال هى خمس وهى خمسون لا يبدل القول لدى فرجعت إلى موسى فقال ارجع إلى ربك قلت قد استحييت من ربى، ثم انطلق بى حتى انتهى إلى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدرى ماهى ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبائل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك» وهذا لفظ البخارى فى كتاب الصلاة ورواه فى ذكر بنى إسرائيل وفى الحج وفى أحاديث الأنبياء من طرق أخرى عن يونس به ، ورواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الإيمان عن حرملة عن ابن وهب عن يونس به نحوه

وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام عن قتادة عن عبد الله بن شقيق قال قلت لأبى ذر لو رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسألته قال وما كنت تسأله قال كنت أسأله هل رأى ربه فقال إنى قد سألته فقال «قد رأيته نوراً أنى أراه » هكذا قد وقع فى رواية الإمام أحمد وأخرجه مسلم فى صحيحه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن وكيع عن يزيد بن إبراهيم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عن أبى ذر قال سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك قال « نور أنى أراه» وعن محمد بن بشار عن معاذ بن هشام حدثنا أبى عن قتادة عن عبد الله بن شقيق قال قلت لأبى ذر لو رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسألته فقال عن أى شىء كنت تسأله ؟ قال كنت أسأله هل رأيت ربك قال أبو ذر قد سألت

فقال رأيت نوراً ﴿ رواية أنس عن أبي بن كعب الأنصاري رضى الله عنه ﴾ قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا محمد ابن إسحق بن محمد بن المسيني حدثنا أنس بن عياض حدثنا يونس بن يزيد قال : قال ابن شهاب قال أنس بن مالك كان أبي بن كعب يحدث أن رسول الله ﷺ قال « فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء فلما جاء السماء الدنيا إذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة فإذا نظر قبل يمينه تبسم وإذا نظر قبل يساره بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت لجبريل من هذا ؟ قال هذا آدم وهذه الأسودة التي عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل يمينه هم أهل الجنة والأسودة التي عن شماله هم أهل النار فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل يساره بكى ـ قال ـ ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح له » قال أنس فذكر أنه وجد في السموات آدم وإدريس وموسى وإبراهيم وعيسى ولم يثبت لي كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم عليه السلام في السماء الدنيا ، وإبراهيم في السماء السادسة ، قال أنس فلما مر جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم بإدريس قال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح ، قال « قلت من هذا يا جبريل قال هذا إدريس ، ـ قال ـ ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح فقلت من هذا قال هذا موسى ، ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح ، قلت من هذا قال هذا عيسى بن مريم ـ قال ـ ثم مررت بإبراهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت من هذا قال هذا إبراهيم » قال ابن شهاب وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع صريف الأقلام » قال ابن حزم وأنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فرض الله على أمتي خمسين صلاة ، قال فرجعت بذلك حتى أمر على موسى فقال موسى ماذا فرض ربك على أمتك قلت فرض عليهم خمسين صلاة ، فقال لي موسى راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي فوضع شطرها فرجعت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فرجعت فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي ، قال فرجعت إلى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من ربي ، قال ثم انطلق بي حتى أتى سدرة المنتهى قال فغشيها ألوان ما أدري ما هي قال ثم دخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك » هكذا رواه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه وليس هو في شيء من الكتب الستة ، وقد تقدم في الصحيحين من طريق يونس عن الزهري عن أنس عن أبي ذر مثل هذا السياق سواء فالله أعلم

﴿ رواية بريدة بن الحصيب الأسلمي ﴾ قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عبد الرحمن بن المتوكل ويعقوب بن إبراهيم واللفظ له قالا : حدثنا أبو نميلة حدثنا الزبير بن جنادة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما كان ليلة أسري بي ـ قال ـ فأتى جبريل الصخرة التي ببيت المقدس ـ قال ـ فوضع أصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق » ثم قال البزار لا نعلم رواه عن الزبير بن جنادة إلا أبو نميلة ولا نعلم هذا الحديث إلا عن بريدة وقد رواه الترمذي في التفسير من جامعه عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي به وقال غريب . ﴿ رواية جابر بن عبد الله رضى الله عنه ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن صالح عن ابن شهاب قال : قال أبو سلمة سمعت جابر بن عبد الله يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لما كذبني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » أخرجاه في الصحيحين من طرق عن حديث الزهري به ، وقال البيهقي حدثنا أحمد بن الحسن القاضي حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبي عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال سمعت سعيد بن المسيب يقول : إن رسول الله ﷺ حين انتهى إلى بيت المقدس لقي فيه إبراهيم وموسى وعيسى وإنه أتي بقدحين قدح من لبن وقدح من خمر فنظر إليهما ثم أخذ قدح اللبن فقال جبريل أصبت هديت للفطرة لو أخذت الخمر لغوت أمتك ثم رجع رسول الله ﷺ إلى مكة فأخبر أنه أسري به فافتتن ناس كثير كانوا قد صلوا معه . وقال ابن شهاب قال أبو سلمة بن عبد الرحمن فتجهز أو كلمة نحوها ناس من قريش إلى

أبى بكر فقالوا هل لك فى صاحبك يزعم أنه جاء إلى بيت المقدس ثم رجع إلى مكة فى ليلة واحدة . فقال أبوبكر أوقال ذلك ؟ قالوا نعم ، قال فأنا أشهد لئن كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا فتصدقه فى أن يأتى الشأم فى ليلة واحدة ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح ؟ قال نعم أنا أصدقه بأبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء . قال أبوسلمة فبها سمى أبوبكر الصديق. قال أبو سلمة فسمعت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لما كذبتنى قريش حين أسرى بى إلى بيت المقدس قمت فى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه»

﴿ رواية حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ﴾ قال الإمام أحمد ثنا أبو النضر ثنا سليمان عن شيبان عن عاصم عن زر بن حبيش قال أتيت على حذيفة بن اليمان رضى الله عنه وهو يحدث عن ليلة أسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو يقول : فانطلقا حتى أتيا بيت المقدس فلم يدخلاه قال قلت بل دخله رسول الله ﷺ ليلتئذ وصلى فيه قال ما اسمك يا أصلع ؟ فأنا أعرف وجهك ولا أدرى ما اسمك قال قلت أنا زر بن حبيش قال فما علمك بأن رسول الله ﷺ صلى فيه ليلتئذ قال قلت القرآن يخبرنى بذلك قال فمن تكلم بالقرآن فلج اقرأ قال فقلت (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) قال يا أصلع هل تجد صلى فيه ؟ قلت لا قال والله ما صلى فيه رسول الله ﷺ ليلتئذ ولو صلى فيه لكتب عليكم صلاة فيه كما كتب عليكم صلاة فى البيت العتيق والله ما زايلا البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء فرأيا الجنة والنار ووعد الآخرة أجمع ثم عادا عودهما على بدئهما قال ثم ضحك حتى رأيت نواجذه . قال وتحدثونى أنه ربطه لايفر منه وإنما سخره له عالم الغيب والشهادة قلت أبا عبد الله أى دابة البراق ؟ قال دابة أبيض طويل هكذا خطوه مد البصر . ورواه أبو داود الطيالسى عن حماد ابن سلمة عن عاصم به ورواه الترمذى والنسائى فى التفسير من حديث عاصم وهو ابن أبى النجود به وقال الترمذى حسن وهذا الذى قاله حذيفة رضى الله عنه نفى ما أثبته غيره عن رسول الله ﷺ من ربط الدابة بالحلقة ومن الصلاة ببيت المقدس مما سبق وما سبق مقدم على قوله والله أعلم بالصواب

﴿ رواية أبى سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدرى ﴾ قال الحافظ أبوبكر البيهقى فى كتاب دلائل النبوة حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ حدثنا أبوالعباس محمد بن يعقوب حدثنا أبوبكر يحيى بن أبى طالب حدثنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا أبو محمد راشد الحمانى عن أبى هرون العبدى (١) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال له أصحابه يا رسول الله أخبرنا عن ليلة أسرى بك فيها قال : قال الله عز وجل (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) الآية قال فأخبرهم قال « فبينا أنا نائم عشاء فى المسجد الحرام إذ أتانى آت فأيقظنى فاستيقظت فلم أر شيئا فإذا أنا بكهيئة خيال فأتبعته بصرى حتى خرجت من المسجد الحرام فإذا أنا بدابة أدنى شبها بدوابكم هذه، بغالكم هذه غير أنه مضطرب الأذنين يقال له البراق وكانت الأنبياء تركبه قبلى يقع حافره عند مد بصره فركبته فبينا أنا أسير عليه إذ دعانى داع عن يمينى يامحمد انظرنى أسألك يامحمد انظرنى أسألك فلم أجبه ولم أقم عليه ، فبينا أنا أسير عليه إذ دعانى داع عن يسارى يا محمد انظرنى أسألك فلم أجبه ولم أقم عليه ، فبينا أنا أسير إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله فقالت يامحمد انظرنى أسألك فلم ألتفت إليها ولم أقم عليها حتى أتيت بيت المقدس فأوثقت دابتى بالحلقة التى كانت الأنبياء توثقها بها ثم أتانى جبريل عليه السلام بإناءين أحدهما خمر والآخر لبن فشربت اللبن وأبيت الخمر فقال جبريل أصبت الفطرة أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك فقلت الله أكبر الله أكبر فقال جبريل مارأيت فى وجهك هذا ؟ قال فقلت بينا أنا أسير إذ دعانى داع عن يمينى يامحمد أنظرنى أسألك فلم أجبه ولم أقم عليه قال ذاك داعى اليهود أما إنك لوأجبته أووقفت عليه لتهودت أمتك ـ قال ـ فبينا أنا أسير إذ دعانى داع عن يسارى قال يامحمد انظرنى أسألك فلم ألتفت ولم أقم عليه قال ذاك داعى النصارى أما إنك لو أجبته لتنصرت أمتك ـ قال ـ فبينا أنا أسير إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها عليها من كل زينة خلقها الله تقول يامحمد انظرنى أسألك فلم أجبها ولم أقم عليها قال تلك الدنيا أما إنك لو أجبتها أو قمت عليها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة . قال ثم دخلت أنا وجبريل بيت

(١) هو ضعيف وقيل كذاب .

المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين ثم أتيت بالمعراج الذى كانت تعرج عليه أرواح الأنبياء فلم ير الخلائق أحسن من المعراج أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحا إلى السماء فإنما يشق بصره طامحا إلى السماء عجبه بالمعراج قال فصعدت أنا وجبريل فاذا أنا بملك يقال له إسماعيل وهو صاحب السماء الدنيا وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنوده مائة ألف ملك قال : قال الله عز وجل (وما يعلم جنود ربك إلا هو) قال فاستفتح جبريل باب السماء قيل من هذا ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل أو قد بعث إليه ، قال نعم فاذا أنا بآدم كهيئته يوم خلقه الله عز وجل على صورته ؟ فاذا هو تعرض عليه أرواح ذريته من المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها فى عليين ، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة احعلوها فى سجين فمضيت هنيهة فاذا أنا بأخونة عليها لحم مشرح ليس يقربها أحد وإذا أنا بأخونة أخرى عليها لحم قد أروح وأنتن عندها أناس يأكلون منها قلت ياجبريل من هؤلاء ، قال هؤلاء من أمتك يأتون الحرام ويتركون الحلال ، قال ثم مضيت هنيهة فاذا أنا بأقوام مشافرهم كمشافر الإبل قال فتفتح أفواههم فيلقمون من ذلك الجمر ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يضجون إلى الله عز وجل فقلت من هؤلاء ياجبريل ، قال هؤلاء من أمتك (الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) قال ثم مضيت هنيهة فاذا أنا بنساء تعلقن بثديهن فسمعتهن يضججن إلى الله عز وجل قلت ياجبريل من هؤلاء النساء ، قال هؤلاء الزناة[1] من أمتك. قال ثم مضيت هنيهة فاذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر فيقول اللهم لاتقم الساعة قال وهم على سابلة آل فرعون قال فتجىء السابلة فتطؤهم قال فسمعتهم يضجون إلى الله ـ قال ـ قلت ياجبريل من هؤلاء ، قال هؤلاء من أمتك (الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) قال ثم مضيت هنيهة فاذا أنا بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه فيقال له كل كما كنت تأكل من لحم أخيك قلت ياجبريل من هؤلاء ، قال هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون قال ثم صعدنا إلى السماء الثانية فاذا أنا برجل أحسن ماخلق الله عزوجل قدفضل الناس فى الحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب قلت ياجبريل من هذا ، قال هذا أخوك يوسف ومعه نفر من قومه فسلمت عليه فرد علىّ ، ثم صعدنا إلى السماء الثالثة واستفتح فاذا أنا بيحيى وعيسى عليهما السلام ومعهما نفر من قومهما فسلمت عليهما وسلما علىّ ثم صعدنا إلى السماء الرابعة فاذا أنا بإدريس قد رفعه الله مكانا علياً فسلمت عليه فسلم علىّ ، ثم صعدنا إلى السماء الخامسة فاذا أنا بهرون ونصف لحيته بيضاء ونصفها سوداء تكاد لحيته تصيب سرته من طولها قلت ياجبريل من هذا ، قال هذا المحبب فى قومه هذا هرون بن عمران ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم علىّ . ثم صعدت إلى السماء السادسة فاذا أنا بموسى بن عمران رجل آدم كثير الشعر لو كان عليه قميصان لنفذ شعره دون القميص فاذا هو يقول يزعم الناس أنى أكرم على الله من هذا بل هذا أكرم على الله منى قال قلت ياجبريل من هذا ، قال هذا أخوك موسى بن عمران عليه السلام ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم على ، ثم صعدت إلى السماء السابعة فاذا أنا بأبينا إبراهيم خليل الرحمن ساند ظهره إلى البيت المعمور كأحسن الرجال قلت ياجبريل من هذا ، قال هذا أبوك إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ومعه نفر من قومه فسلمت عليه فسلم علىّ وإذا أنا بأمتى شطرين شطر عليهم ثياب بيض كأنها القراطيس وشطر عليهم ثياب رمد ـ قال ـ فدخلت البيت المعمور ودخل معى الذين عليهم الثياب البيض وحجب الآخرون الذين عليهم الثياب الرمد وهم على خير فصليت أنا ومن معى فى البيت المعمور ثم خرجت أنا ومن معى . قال والبيت المعمور يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك لايعودون اليه إلى يوم القيامة قال ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فاذا كل ورقة منها تكاد تغطى هذه الأمة ، وإذا فيها عين تجرى يقال لها سلسبيل فينشق منها نهران (أحدهما) الكوثر (والآخر) يقال له نهر الرحمة فاغتسلت فيه فغفر لى ماتقدم من ذنبى وما تأخر . ثم إنى رفعت إلى الجنة فاستقبلتنى جارية فقلت لمن أنت ياجارية قالت لزيد بن حارثة وإذا بأنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، واذا رمانها كالدلاء عظما وإذا أنا بطيرها كأنها بختكم هذه فقال عندها ﷺ إن الله تعالى قد

(١) الزناة جمع زان فهو للمذكر ، وفى الخصائص اللاتى يزنين ويقتلن أولادهن .

أعد لعباده الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ـ قال ـ ثم عرضت على النار فإذا فيها غضب الله وزجره ونقمته ولو طرحت فيها الحجارة والحديد لأكلتها ثم أغلقت دونى ثم إنى رفعت إلى سدرة المنتهى فتغشانى فكان بينى وبينه قاب قوسين أو أدنى . قال وينزل على كل ورقة منها ملك من الملائكة ـ قال ـ وفرضت على خمسون صلاة ، وقال لك بكل حسنة عشر فإذا هممت بالحسنة فلم تعملها كتبت لك حسنة فإذا عملتها كتبت لك عشراً ؛ وإذا هممت بالسيئة فلم تعملها لم يكتب عليك شىء فان عملتها كتبت عليك سيئة واحدة ثم رجعت إلى موسى فقال بما أمرك ربك ؟ فقلت بخمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف لأمتك فان أمتك لا تطيق ذلك ، ومتى لا تطيقه تكفر فرجعت إلى ربى فقلت يا رب حفف عن أمتى فانها أضعف الأمم فوضع عنى عشراً وجعلها أربعين فما زلت أختلف بين موسى وربى كلما أتيت عليه قال لى مثل مقالته حتى رجعت إليه فقال لى بم أمرت فقلت أمرت بعشر صلوات قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت إلى ربى فقلت أى رب خفف عن أمتى فانها أضعف الأمم فوضع عنى خمساً وجعلها خمساً فنادانى ملك عندها تممت فريضتى وخففت عن عبادى وأعطيتهم بكل حسنة عشر أمثالها ثم رجعت إلى موسى فقال بم أمرت ؟ فقلت بخمس صلوات قال ارجع إلى ربك فانه لا يؤوده شىء فاسأله التخفيف لأمتك فقلت رجعت إلى ربى حتى استحييت » ثم أصبح بمكة يخبرهم بالأعاجيب : إنى أتيت البارحة بيت المقدس وعرج بى إلى السماء ورأيت كذا وكذا فقال أبو جهل يعنى ابن هشام ألا تعجبون مما قال محمد ؟ يزعم أنه أتى البارحة بيت المقدس ثم أصبح فينا وأحدنا يضرب مطيته مصعدة شهرا ومقفلة شهرا فهذه مسيرة شهرين فى ليلة واحدة قال فأخبرتهم بعير لقريش لما كنت فى مصعدى رأيتها فى مكان كذا وكذا وأنها نفرت فلما رجعت وجدتها عند العقبة وأخبرهم بكل رجل وبعيره كذا وكذا ومتاعه كذا وكذا فقال أبو جهل يخبرنا بأشياء فقال رجل منهم أنا أعلم الناس ببيت المقدس وكيف بناؤه وهيئته وكيف قربه من الجبل فان يك محمد صادقا فسأخبركم وإن يك كاذباً فسأخبركم فجاء ذلك المشرك فقال يا محمد أنا أعلم الناس ببيت المقدس فأخبرنى كيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل قال فرفع لرسول الله ﷺ بيت المقدس من مقعده فنظر إليه كنظر أحدنا إلى بيته قال بناؤه كذا وكذا وهيئته كذا وكذا وقربه من الجبل كذا وكذا فقال الآخر صدقت فرجع إليهم فقال صدق محمد فيما قال أو نحوا من هذا الكلام وكذا رواه الإمام أبو جعفر بن جرير بطوله عن محمد بن عبد الأعلى عن محمد بن ثور عن معمر عن أبى هارون العبدى ، وعن الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق عن معمر عن أبى هارون العبدى به ، ورواه أيضاً من حديث ابن إسحق حدثنى روح بن القاسم عن أبى هارون به نحو سياقه المتقدم ، ورواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن أحمد بن عبدة عن أبى عبد الصمد عبد العزيز بن عبد الصمد عن أبى هارون العبدى عن أبى سعيد الخدرى فذكره بسياق طويل حسن أنيق أجود مما ساقه غيره على غرابته وما فيه من النكارة ، ثم ذكره البيهقى أيضا من رواية روح ابن قيس الحذائى وهشيم ومعمر عن أبى هارون العبدى واسمه عمارة بن جوين وهو مضعف عند الأئمة ، وإنما سقنا حديثه ههنا لما فيه من الشواهد لغيره ، ولما رواه البيهقى أخبرنا أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن أنبأنا أبو نعيم أحمد بن محمد بن إبراهيم البزار حدثنا أبو حامد بن بلال حدثنا أبو الأزهر حدثنا يزيد بن أبى حكيم قال رأيت فى النوم رسول الله ﷺ قلت يا رسول الله رجل من أمتك يقال له سفيان الثورى لا بأس به . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا بأس به » حدثنا عن أبى هارون العبدى عن أبى سعيد الخدرى عنك يا رسول الله ليلة أسرى بك قلت رأيت فى السماء فحدثه بالحديث فقال لى « نعم » فقلت له يا رسول الله إن ناسا من أمتك يحدثون عنك فى السرى بعجائب ؟ فقال لى « ذلك حديث القصاص » ﴿ رواية شداد بن أوس ﴾ قال الإمام أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذى حدثنا إسحق ابن إبراهيم بن العلاء بن الضحاك الزبيدى حدثنا عمرو بن الحارث عن عبد الله بن سالم الأشعرى عن محمد بن الوليد ابن عامر الزبيدى حدثنا أبو الوليد بن عبد الرحمن عن جبير بن نفير حدثنا شداد بن أوس قال : قلنا يارسول الله كيف أسرى بك ؟ قال « صليت لأصحابى صلاة العتمة بمكة معتما فأتانى جبريل عليه السلام بدابة أبيض ـ أو قال بيضاء ـ فوق الحمار

ودون البغل فقال اركب فاستصعب علىّ فرازها بأذنها ثم حملنى عليها فانطلقت تهوى بنا يقع حافرها حيث انتهى طرفها حتى بلغنا أرضاً ذات نخل فأنزلنى فقال صل فصليت ثم ركبت فقال أتدرى أين صليت ؟ قلت الله أعلم ، قال صليت بيثرب صليت بطيبة فانطلقت تهوى بنا يقع حافرها عند منتهى طرفها ثم بلغنا أرضا قال انزل ثم قال صل فصليت ثم ركبنا فقال أتدرى أين صليت ؟ قلت الله أعلم ، قال صليت بمدين عند شجرة موسى ، ثم انطلقت تهوى بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها ثم بلغنا أرضا بدت لنا قصور فقال انزل فنزلت فقال صل فصليت ثم ركبنا فقال أتدرى أين صليت ! قلت الله أعلم ، قال صليت بيت لحم حيث ولد عيسى بن مريم ثم انطلق بى حتى دخلنا المدينة من بابها اليمانى فأتى قبلة المسجد فربط فيه دابته ودخلنا المسجد من باب تميل فيه الشمس والقمر فصليت من المسجد حيث شاء الله وأخذنى من العطش أشد ما أخذنى فأتيت بإناءين فى أحدهما لبن وفى الآخر عسل أرسل إلى بهما جميعا فعدلت بينهما ثم هدانى الله عز وجل فأخذت اللبن فشربت حتى عرقت به جبينى وبين يدى شيخ متكىء على مثوات له فقال أخذ صاحبك الفطرة إنه لهدى ، ثم انطلق بى حتى أتينا الوادى الذى فيه المدينة فإذا جهنم تنكشف عن مثل الروابى[1] قلت يا رسول الله كيف وجدتها ؟ قال وجدتها مثل الحمة السخنة ثم انصرف بى فمررنا بعير لقريش بمكان كذا وكذا قد أضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم أتيت أصحابى قبل الصبح بمكة فأتانى أبو بكر رضى الله عنه فقال يا رسول الله أين كنت الليلة فقد التمستك فى منازلك ، فقال علمت أنى أتيت بيت المقدس الليلة ، فقال يا رسول الله إنه مسيرة شهر فصفه لى ، قال ففتح لى صراط كأنى أنظر إليه لا يسألنى عن شىء إلا أنبأته به ، فقال أبو بكر أشهد أنك لرسول الله ، وقال المشركون انظروا إلى ابن أبى كبشة يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة ، قال فقال إن من آية ما أقول لكم أنى مررت بعير لكم فى مكان كذا وكذا وقد أضلوا بعيرا لهم فجمعه لهم فلان وإن مسيرهم ينزلون بكذا ثم بكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل آدم عليه مسح أسود وغرارتان سوداوان فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حين كان قريبا من نصف النهار حتى أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذى وصفه رسول الله ﷺ هكذا رواه البيهقى من طريقين عن أبى إسماعيل الترمذى به ثم قال بعد تمامه هذا إسناد صحيح ، وروى ذلك مفرقا من أحاديث غيره ونحن نذكر من ذلك إن شاء الله ما حضرنا ثم ساق أحاديث كثيرة فى الإسراء كالشاهد لهذا الحديث ، وقد روى هذا الحديث عن شداد بن أوس بطوله الإمام أبو محمد عبد الرحمن ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أبيه عن إسحق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدى به ، ولا شك أن هذا الحديث أعنى الحديث المروى عن شداد بن أوس مشتمل على أشياء منها ما هو صحيح كما ذكره البيهقى ومنها ما هو منكر كالصلاة فى بيت لحم . وسؤال الصديق عن نعت بيت المقدس وغير ذلك والله أعلم ﴿ رواية عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن قابوس عن أبيه قال حدثنا ابن عباس قال : ليلة أسرى برسول الله ﷺ دخل الجنة فسمع فى جانبها وخشاً[2] فقال ياجبريل ما هذا ! قال هذا بلال المؤذن فقال النبى ﷺ حين جاء إلى الناس « قد أفلح بلال رأيت له كذا وكذا » قال فلقيه موسى عليه السلام فرحب به وقال مرحبا بالنبى الأمى قال وهو رجل آدم طويل سبط شعره مع أذنيه أو فوقهما فقال من هذا يا جبريل ! قال هذا موسى ، قال فمضى فلقيه شيخ جليل متهيب فرحب به وسلم عليه وكلهم يسلم عليه قال من هذا يا جبريل قال هذا أبوك إبراهيم — قال — ونظر فى النار فإذا قوم يأكلون الجيف قال من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ورأى رجلا أحمر أزرق جداً قال من هذا يا جبريل ! قال هذا عاقر الناقة ، — قال — : فلما أتى رسول الله ﷺ المسجد الأقصى قام يصلى فإذا النبيون أجمعون يصلون معه ، فلما انصرف جىء بقدحين أحدهما عن اليمين والآخر عن الشمال فى أحدهما لبن وفى الآخر عسل فأخذ اللبن فشرب منه فقال الذى كان معه القدح أصبت الفطرة إسناد صحيح ولم يخرجوه . ﴿ طريق أخرى ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ثابت أبو زيد حدثنا هلال حدثنى عكرمة عن ابن عباس قال : أسرى برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس ثم جاء من ليلته فحدثهم بمسيره وبعلامة بيت المقدس وبعيرهم فقال ناس نحن لا نصدق محمداً بما يقول فارتدوا كفاراً فضرب

(١) فى نسخة الأزهر : والأميرة الزرابى ، وكذا فى الخصائص . (٢) فى النسخ كلها وخشا : وهو تصحيف ، والرجس بالجيم والسين الصوت الخفى .

الله رقابهم مع أبي جهل وقال أبوجهل يخوفنا محمد بشجرة الزقوم هاتوا تمرا وزبدا فتزقموا ، ورأى الدجال فى صورته رؤيا عين ليس برؤيا منام وعيسى وموسى وإبراهيم ، وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال فقال « رأيته فيلمانيا أقمرهجان ، إحدى عينيه قائمة كأنها كوكب درى كأن شعر رأسه أغصان شجرة ، ورأيت عيسى عليه السلام أبيض جعدالرأس حديد البصر ومبطن الخلق ، ورأيت موسى عليه السلام أسحم آدم كثير الشعر شديد الخلق ، ونظرت إلى إبراهيم عليه السلام فلم أنظر إلى ارب منه إلا نظرت إليه منى حتى كأنه صاحبكم ، قال جبريل سلم على أبيك فسلمت عليه » ورواه النسائى من حديث أبى يزيد . ثابت بن زيد عن هلال وهو ابن حبان به وهو إسناد صحيح

﴿طريق أخرى﴾ قال البيهقى أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو بكر الشافعى أنبأنا إسحق بن الحسن حدثنا الحسين ابن محمد حدثنا شيبان عن قتادة عن أبى العالية قال حدثنا ابن عم نبيكم ﷺ ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « رأيت ليلة أسرى بى موسى بن عمران رجلا طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى بن مريم عليه السلام مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس » وأرى مالكا خازن جهنم والدجال فى آيات أراهن الله إياه قال (فلا تكن فى مرية من لقائه) فكان قتادة يفسرها أن نبي الله ﷺ قد لقى موسى عليه السلام (وجعلناه هدى لبنى إسرائيل) قال جعل الله موسى هدى لبنى إسرائيل رواه مسلم فى الصحيح عن عبد بن حميد عن يونس بن محمد عن شيبان وأخرجاه من حديث شعبه عن قتادة مختصرا ﴿طريق أخرى﴾ وقال البيهقى أخبرنا على بن أحمد بن عبدالله أنا أحمد بن عبيد الستار ثنا دبيس المعدل ثنا عفان قال ثنا حماد بن سلمة عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لما أسرى بى مرت بى رائحة طيبة فقلت ما هذه الرائحة ؟ قال ماشطة بنت فرعون وأولادها سقط المشط من يدها فقالت باسم الله فقالت بنت فرعون أبى قالت ربى وربك ورب أبيك قالت أولك رب غير أبى ؟ قالت نعم ربى وربك ورب أبيك الله . قال فدعاها فقال ألك رب غيرى قالت نعم ربى وربك الله عز وجل . قال فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم أمربها أن تلقى فيها قالت إن لى إليك حاجة قال ماهى ، قال تجمع عظامى وعظام ولدى فى موضع قال ذاك لك لما لك علينا من الحق قال فأمر بهم فألقوا واحداً واحداً حتى بلغ رضيعاً فيهم فقال يا أمه قعى ولا تقاعسى فإنك على الحق . قال وتكلم أربعة فى المهد وهم صغار هذا وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم عليه السلام . إسناد لابأس به ولم يخرجوه ﴿طريق أخرى﴾ قال الإمام أحمد أيضاً حدثنا محمد بن جعفر وروح بن المعين قالا حدثنا عوف عن زرارة ابن أوفى عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لما كان ليلة أسرى بى فأصبحت بمكة فظعت وعرفت أن الناس مكذبى» فقعد معتزلا حزيناً فمر به عدو الله أبوجهل فجاء حتى جلس اليه فقال له كالمستهزى هل كان من شىء ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » قال وماهو ، قال « إنى أسرى بى الليلة » قال إلى أين ، قال « الى بيت المقدس » قال ثم أصبحت بين ظهرانينا ، قال « نعم » قال فلم ير أن يكذبه مخافة أن يجحد الحديث إن دعا قومه اليه ، فقال أرأيت ان دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم » فقال يامعشر بنى كعب بن لؤى قال فانفضت اليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك بما حدثتنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنى أسرى بى الليلة » فقالوا إلى أين ، قال « إلى بيت المقدس » قالوا ثم أصبحت بين ظهرانينا قال « نعم » قال فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً للكذب ، قالوا وتستطيع أن تنعت لنا المسجد وفيهم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد ، فقال رسول الله ﷺ « فما زلت أنعت حتى التبس على بعض النعت ـ قال ـ فجيء بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع دون دار عقيل ـ أو عقال ـ فنعته وأنا أنظر اليه ـ قال ـ وكان مع هذا نعت لم أحفظه ـ قال ـ فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب فيه» وأخرجه النسائى من حديث عوف بن أبى جميلة وهو الأعرابى به ، ورواه البيهقى من حديث النضر بن شميل وهوذة عن عوف وهو ابن أبى جميلة الأعرابى أحد الأئمة الثقات ﴿ رواية عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ﴾ قال

الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبدالله محمد بن يعقوب حدثنا السري بن خزيمة حدثنا يوسف ابن بهلول حدثنا عبد الله بن نمير عن مالك بن مغول عن الزبير بن عدي عن طلحة بن مصرف عن مرة الهمداني عن عبدالله ابن مسعود قال : لما أسري برسول الله ﷺ فانتهى إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة وإليها ينتهي ما يصعد به حتى يقبض منها ، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها حتى يقبض (إذ يغشى السدرة ما يغشى) قال غشيها فراش من ذهب وأعطى رسول الله ﷺ الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئاً المقحمات يعني الكبائر . ورواه مسلم في صحيحه عن محمد بن عبدالله بن نمير وزهير بن حرب كلاهما عن عبدالله بن نمير به ، ثم قال البيهقي وهذا الذي ذكره عبدالله ابن مسعود طرف من حديث المعراج ، وقد رواه أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم رواه مرة مرسلا من دون ذكرهما ثم إن البيهقي ساق الأحاديث الثلاثة كما تقدم قلت وقد روى عن ابن مسعود بأبسط من هذا وفيه غرابة وذلك فيما رواه الحسن بن عرفة في جزئه المشهور حدثنا مروان بن معاوية عن قتادة بن عبدالله التيمي حدثنا أبو ظبيان الجنبي قال : كنا جلوسا عند أبي عبيدة بن عبدالله يعني ابن مسعود ومحمد بن سعد بن أبي وقاص وهما جالسان فقال محمد بن سعد لأبي عبيدة حدثنا عن أبيك ليلة أسري بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال أبو عبيدة لا بل حدثنا أنت عن أبيك فقال محمد لو سألتني قبل أن أسألك لفعلت ، قال فأنشأ أبو عبيدة يحدث يعني عن أبيه كما سئل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتاني جبريل عليه السلام بدابة فوق الحمار ودون البغل فحملني عليه ثم انطلق يهوي بنا كلما صعد عقبة استوت رجلاه كذلك مع يديه وإذا هبط استوت يداه مع رجليه حتى مررنا برجل طوال سبط آدم كأنه من رجال أزد شنوءة فيرفع صوته يقول أكرمته وفضلته قال فدفعنا اليه فسلمنا عليه فرد السلام فقال من هذا معك ياجبريل ؟ قال هذا أحمد ، قال مرحباً بالنبي الأمي العربي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لأمته ، قال ثم اندفعنا فقلت من هذا ياجبريل ، قال هذا موسى بن عمران قال قلت ومن يعاتب قال يعاتب ربه فيك ، قلت ويرفع صوته على ربه قال إن الله قد عرف له حدته . قال ثم اندفعنا حتى مررنا بشجرة كأن ثمرها السرح تحتها شيخ وعياله قال فقال لي جبريل اعمد إلى أبيك إبراهيم فدفعنا اليه فسلمنا عليه فرد السلام فقال إبراهيم من هذا معك ياجبريل ، قال هذا ابنك أحمد قال فقال مرحباً بالنبي الأمي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لأمته يا بني إنك لاق ربك الليلة وإن أمتك آخر الأمم وأضعفها فان استطعت أن تكون حاجتك أو جلها في أمتك فافعل . قال ثم اندفعنا حتى انتهينا إلى المسجد الأقصى فنزلت فربطت الدابة في الحلقة التي في باب المسجد التي كانت الأنبياء تربط بها ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين من بين قائم وراكع وساجد قال ثم أتيت بكأسين من عسل ولبن فأخذت اللبن فشربت فضرب جبريل عليه السلام منكبي وقال أصبت الفطرة ورب محمد قال ثم أقيمت الصلاة فأممتهم ثم انصرفنا فأقبلنا » إسناد غريب ولم يخرجوه ، فيه من الغرائب سؤال الأنبياء عنه عليه السلام ابتداء ثم سؤاله عنهم بعد انصرافه والمشهور في الصحاح كما تقدم أن جبريل كان يعلمه بهم أولا ليسلم عليهم سلام معرفة ، وفيه أنه اجتمع بالأنبياء عليهم السلام قبل دخوله المسجد الأقصى ، والصحيح أنه إنما اجتمع بهم في السموات ثم نزل إلى بيت المقدس ثانيا وهم معه وصلى بهم فيه ثم إنه ركب البراق وكر راجعاً إلى مكة والله أعلم ﴿طريق أخرى﴾ قال الإمام أحمد حدثنا هشيم حدثنا العوام عن جبلة بن سحيم عن مرثد بن جنادة عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال « لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا أمر الساعة قال فردوا أمرهم إلى إبراهيم عليه السلام فقال لا علم لي بها فردوا أمرهم إلى موسى فقال لا علم لي بها فردوا أمرهم إلى عيسى فقال أما وجبتها فلا يعلم بها أحد إلا الله عز وجل وفيما عهد إلى ربي أن الدجال خارج قال ومعي قضيبان فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص قال فيهلكه الله إذا رآني حتى إن الحجر والشجر يقول يا مسلم إن تحتي كافراً فتعال فاقتله قال فيهلكهم الله ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم قال فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطأون بلادهم فلا يأتون على شيء إلا أهلكوه ولا يمرون على ماء إلا شربوه قال ثم يرجع الناس إلى فيشكونهم فأدعوا الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى الأرض من نتن ريحهم أي تنتن قال فينزل الله

المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم فى البحر ففيما عهد إلى ربى أن ذلك إذا كان كذلك أن الساعة كالحامل التم لا يدرى أهلها متى تفجؤهم بولادها ليلا أو نهارا . وأخرجه ابن ماجه عن بندار عن يزيد بن هارون عن العوام ابن حوشب رواية عبد الرحمن بن قرط أخى عبد الله بن قرط الثمالى قال سعيد بن منصور حدثنا مسكين بن ميمون مؤذن مسجد الرملة حدثنى عروة بن رويم عن عبد الرحمن بن قرط أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى من بين زمزم والمقام جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فطارا به حتى بلغ السموات العلى فلما رجع قال سمعت تسبيحاً فى السموات العلى مع تسبيح كثير سبحت السموات العلى من ذى المهابة مشفقات من ذى العلو بما على سبحان العلى الأعلى سبحانه وتعالى . ونذكر ههنا الحديث عند قوله تعالى من هذه السورة (تسبح له السموات السبع) الآية

﴿ رواية عمر بن الخطاب رضى الله عنه ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن أبى سنان عن عبيد بن آدم وأبى مريم وأبى شعيب أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس قال : قال أبو سلمة فحدثنى أبو سنان عن عبيد بن آدم قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب أين ترى أن أصلى فقال إن أخذت عنى صليت خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ضاهيت اليهودية ولكن أصلى حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم إلى القبلة فصلى ثم جاء فبسط رداءه وكنس الكناسة فى ردائه وكنس الناس فلم يعظم الصخرة تعظيما يصلى وراءها وهى بين يديه كما أشار كعب الأحبار وهو من قوم يعظمونها حتى جعلوها قبلتهم ولكن من الله عليه بالإسلام فهدى إلى الحق ولهذا لما أشار بذلك قال له أمير المؤمنين عمر ضاهيت اليهودية ولا أهانها إهانة النصارى الذين كانوا قد جعلوها مزبلة من أجل أنها قبلة اليهود ولكن أماط عنها الأذى وكنس عنها الكناسة بردائه . وهذا شبيه بما جاء فى صحيح مسلم عن أبى مرثد الغنوى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها »

﴿ رواية أبى هريرة وهى مطولة جداً وفيها غرابة ﴾ قال الإمام أبو جعفر بن جرير فى تفسير سورة سبحان حدثنا على بن سهل ثنا حجاج ثنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية الرياحى عن أبى هريرة أو غيره شك أبو جعفر فى قول الله عز وجل (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) الآية قال جاء جبريل إلى النبى ﷺ ومعه ميكائيل فقال جبرائيل لميكائيل ائتنى بطست من ماء زمزم كيما أطهر قلبه وأشرح له صدره قال فشق عنه بطنه فغسله ثلاث مرات واختلف إليه ميكائيل بثلاث طساس من ماء زمزم فشرح صدره فنزع ما كان فيه من غل وملأه علماً وحلماً وإيمانا ويقينا وإسلاما وختم بين كتفيه بخاتم النبوة ثم أتاه بفرس فحمله عليه كل خطوة منه منتهى بصره أو أقصى بصره قال فسار وسار معه جبريل عليهما السلام قال فأتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال النبى ﷺ « يا جبريل ما هذا ؟ » قال هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما أنفقوا من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ثم أتى على قوم ترضخ رءوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شىء فقال « ما هؤلاء ياجبريل ؟ » قال هؤلاء الذين تثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الإبل والنعم . ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها قال « فما هؤلاء يا جبريل » ، قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله تعالى شيئاً وما الله بظلام للعبيد ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدر ولحم نىء فى قدر خبيث فجعلوا يأكلون من اللحم النىء الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال « ما هؤلاء يا جبريل ؟ » فقال هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيبة فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتى رجلا خبيثا فتبيت معه حتى تصبح قال ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب ألا شقته ولا شىء إلا خرقته قال «ما هذا يا جبريل؟» ، قال هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونها ثم تلا (ولا تقعدوا

بكل صراط توعدون وتصدون) الآية قال ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال « ما هذا يا جبريل ؟ » قال هذا الرجل من أمتك يكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال « ما هذا يا جبريل؟ » فقال هؤلاء خطباء الفتنة ثم أتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال « ما هـذا يا جبريل؟ » فقال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها . ثم أتى على واد فوجد ريحاً طيبة باردة وريح مسك وسمع صوتا فقال : « يا جبريل ما هـذه الريح الطيبة الباردة وما هذا المسك وما هذا الصوت ؟ » قال هذا صوت الجنة تقول يا رب ائتني بما وعدتني فقد كثرت غرفي وإستبرقي وحريري وسندسي وعبقري ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي وأكوابي وصحافي وأباريقي وأكؤسي وعسلي ومائي ولبني وخمري فائتني بما وعدتني فقال لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحا ولم يشرك بي شيئاً ولم يتخذ من دوني أندادا ، ومن خشيني فهو آمن ، ومن سألني أعطيته ، ومن أقرضني جزيته ، ومن توكل علي كفيته ، إني أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد ، وقد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين ، قالت قد رضيت قال ثم أتى على واد فسمع صوتاً منكراً ووجد ريحاً خبيثة فقال. « ما هذه الريح يا جبريل وما هذا الصوت؟ » فقال هذا صوت جهنم تقول يا رب ائتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري وحميمي وضريعي وغساقي وعذابي وقد بعد قعري واشتد حري فائتني بما وعدتني ، قال لك كل مشرك ومشركة ، وكافر وكافرة ، وكل خبيث وخبيثة . وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب . قالت قد رضيت ، قال ثم سار حتى أتى بيت المقـدس فنزل فربط فرسه إلى الصخرة ثم دخل فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هـذا معك قال محمـد ﷺ قالوا أوقد أرسـل إليـه قال نعم قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء . قال ثم لقي أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم فقال إبراهيم عليه السلام : الحمد لله الذي اتخذني خليلا وأعطاني ملكا عظيما وجعلني أمة قانتا يؤتم بي وأنقذني من النار وجعلها علي برداً وسلاما ثم إن موسى عليه السلام أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذي كلمني تكليما وجعل هلاك آل فرعون ونجاة بني إسرائيل على يدي وجعل من أمتي قوما يهدون بالحق وبه يعدلون . ثم إن داود عليه السلام أثنى على ربه فقال : الحمـد لله الذي جعل لي ملكا عظيما وعلمني الزبور وألان لي الحـديد وسخر لي الجبال يسبحن والطير وأعطاني الحكمة وفصل الخطاب ثم إن سليمان عليه السلام أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذي سخر لي الرياح وسخر لي الشياطين يعملون لي ما شئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، وعلمني منطق الطير وآتاني من كل شيء فضلا وسخر لي جنود الشياطين والإنس والطير وفضلني على كثير من عباده المؤمنين ، وآتاني ملكا عظيما لا ينبغي لأحد من بعدي وجعل ملكي ملكا طيبا ليس فيه حساب . ثم إن عيسى عليه السلام أثنى على ربه عز وجل فقال: الحمد لله الذي جعلني كلمته وجعل مثلي كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ، وعلمني الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وجعلني أخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وجعلني أبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله ورفعني وطهرني وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل . قال ثم إن محمداً ﷺ أثنى على ربه عز وجل فقال « كلكم أثنى على ربه وإني مثن على ربي فقال : الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل علي الفرقان فيه بيان لكل شيء وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس وجعل أمتي أمة وسطا وجعل أمتي هم الأولين وهم الآخرين وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما » فقال إبراهيم عليه السلام: بهذا فضلكم محمـد ﷺ ، قال أبو جعفر الرازي خاتم بالنبوة فاتح بالشفاعة يوم القيامة ، ثم أتي بآنية ثلاثة مغطاة أفواهها فأتي بإناء منها فيه ماء فقيل له اشرب فشرب منه يسيرا ، ثم دفع إليه إناء آخر فيـه لبن فقيل له اشرب فشرب منه حتى روى ، ثم دفع إليه إناء آخر فيـه خمر فقيل له اشرب فقال لا أريده قد رويت ، فقال له جبريل أما إنها ستحرم على أمتك ولو شربت منها لم يتبعك من

أمتك إلا القليل ، قال ثم صعد به إلى السماء فاستفتح فقيل من هـذا ياجبريل فقال محمد ، فقالوا أو قد أرسـل اليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ففتح لهما ، فدخل فاذا هو برجل تام الخلق لم ينقص من خلقه شيء كما ينقص من خلق الناس عن يمينه باب يخرج منـه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة فاذا نظر إلى الباب الذى عن يمينه ضحك واستبشر وإذا نظر إلى الباب الذى عن شماله بكى وحزن فقلت ياجبريل من هذا الشيخ التام الخلق الذى لم ينقص من خلقه شيء وما هذان البابان ؟ فقال هذا أبوك آدم وهذا الباب الذى عن يمينه باب الجنة فاذا نظر إلى من يدخل الجنة من ذريته ضحك واستبشر ، والباب الذى عن شماله باب جهنم إذا نظر إلى من يدخلها من ذريته بكى وحزن ، ثم صعد به جبريل إلى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا معك ؟ فقال محمد رسول الله ، قالوا أو قد أرسـل اليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء قال فدخـل فاذا هو بشابين فقال يا جبريل من هذان الشابان ؟ قال هذا عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابنا الخالة عليهما السلام ، قال فصعد به إلى السماء الثالثة فاستفتح فقالوا من هذا ؟ قال جبريل ، قالوا ومن معك قال محمـد قالوا أو قد أرسـل اليـه قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء قال فدخل فاذا هو برجل قد فضـل على الناس فى الحسن كما فضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب قال من هذا يا جبريل الذى قد فضل على الناس فى الحسن ؟ قال هذا أخوك يوسف عليه السـلام ، قال ثم صعد به إلى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل ، قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قالوا أو قد أرسـل اليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفـة فنعم الأخ ونعم الخليفـة ونعم المجيء جاء ، قال فدخل فاذا هو برجـل قال من هـذا ياجبريل ، قال هذا إدريس عليه السلام رفعه الله مكاناً علياً ، ثم صعد به إلى السماء الخامسة فاستفتح فقالوا من هذا ؟ قال جبريل ، قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قالوا أو قد أرسل اليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفـة ونعم المجيء جاء قال فدخل فاذاهو برجل جالس وحوله قوم يقص عليهم قال من هـذا ياجبريل ومن هؤلاء حوله قال هذا هارون المحبب وهؤلاء بنو إسرائيل ، ثم صعد به إلى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قالوا أو قد أرسـل اليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء قال فدخل فاذا هو برجل جالس فجاوزه فبكى الرجل فقال ياجبريل من هـذا ، قال موسى ، قال فما باله يبكى ، قال يزعم بنو إسرائيل أنى أكرم بنى آدم على الله عز وجل وهذا رجل من بنى آدم قد خلفنى فى دنيا وأنا فى أخرى فلو أنه بنفسه لم أبال ولـكن مع كل نبي أمته ، قال ثم صعد به إلى السماء السابعة فاستفتح فقيل من هذا ، قال جبريل قيل ومن معك قال محمد ، قالوا أو أرسـل اليه قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ، قال فدخل فاذا هو برجل أشمط جالس عنـد باب الجنة على كرسى وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس ، وقوم فى ألوانهم شيء فقام هؤلاء الذين فى ألوانهم شيء فدخلوا نهراً فاغتسلوا فيـه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ثم دخلوا نهراً آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقـد خلص من ألوانهم شيء ثم دخلوا نهراً آخر فاغتسلوا فيـه فخرجوا وقد خلصت ألوانهم فصارت مثل ألوان أصحابهم جاءوا فجلسوا إلى أصحابهم فقال ياجبريل من هـذا الأشمط ثم من هؤلاء البيض الوجوه ومن هؤلاء الذين فى ألوانهم شيء وما هذه الأنهار التى دخلوا فيها فجاءوا وقد صفت ألوانهم ، قال هذا أبوك إبراهيم أول من شمط على وجه الأرض ، وأما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا إيمـانهم بظلم ، وأما هؤلاء الذين فى ألوانهم شيء فقوم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً فتابوا فتاب الله عليهم ، وأما الأنهار فأولهـا رحمة الله والثانى نعمة الله والثالث سقاهم ربهم شرابا طهوراً ، قال ثم انتهى إلى السدرة فقيل له هذه السدرة ينتهى إليها كل أحد خلا من أمتك على سنتك . فاذا هى شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى وهى شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما لا يقطعها والورقة منها تغطى الأمة كلها قال فغشيها نور الخلاق عز وجل

وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجرة، من حب الرب تبارك وتعالى ، قالوا فكلمه الله عند ذلك فقال له سل ، فقال إنك اتخذت إبراهيم خليلا وأعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما ، وأعطيت داود ملكا عظيما وألنت له الحديد ، وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكا وسخرت له الجن والإنس والشياطين وسخرت له الرياح وأعطيته ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذنك وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل ، فقال له الرب عز وجل وقد اتخذتك خليلا — وهو مكتوب في التوراة حبيب الرحمن — وأرسلتك إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً ، وشرحت لك صدرك ، ووضعت عنك وزرك . ورفعت لك ذكرك ، فلا أذكر إلا ذكرت معي ، وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس ، وجعلت أمتك أمة وسطا ، وجعلت أمتك هم الأولين وهم الآخرين وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي ، وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم وجعلتك أول النبيين خلقاً وآخرهم بعثاً ، وأولهم يقضى له ، وأعطيتك سبعاً من المثاني لم يعطها نبي قبلك وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبيا قبلك ، وأعطيتك الكوثر وأعطيتك ثمانية أسهم الاسلام والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلتك فاتحاً خاتماً ، فقال النبي ﷺ « فضلني ربي بست : أعطاني فواتح الكلام وخواتيمه وجوامع الحديث ، وأرسلني إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً . وقذف في قلوب أعدائي الرعب من مسيرة شهر ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض كلها طهورا ومسجدا» قال وفرض عليه خمسين صلاة . فلما رجع إلى موسى قال بم أمرت يا محمد ، قال بخمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك أضعف الأمم فقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال فرجع النبي ﷺ إلى ربه عز وجل فسأله التخفيف فوضع عنه عشراً ثم رجع إلى موسى فقال له بكم أمرت قال بأربعين قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك أضعف الأمم ولقد لقيت من بني إسرائيل شدة : قال فرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه فسأله التخفيف فوضع عنه عشرا فرجع إلى موسى فقال بكم أمرت قال أمرت بثلاثين . فقال له موسى ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم وقد لقيت من بني إسرائيل شدة . قال فرجع إلى ربه فسأله التخفيف فوضع عنه عشراً فرجع إلى موسى عليه السلام فقال بكم أمرت قال أمرت بعشرين قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك أضعف الأمم وقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال فرجع إلى ربه عز وجل فسأله التخفيف فوضع عنه عشرا فرجع إلى موسى فقال بكم أمرت قال أمرت بعشر ، قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك أضعف الأمم وقد لقيت من إسرائيل شدة ، قال فرجع على حياء إلى ربه فسأله التخفيف فوضع عنه خمسا فرجع إلى موسى عليه السلام فقال بكم أمرت قال أمرت بخمس ، قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك أضعف الأمم وقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال قد رجعت إلى ربي حتى استحييت فما أنا براجع اليه ، قيل أما إنك كما صبرت نفسك على خمس صلوات فإنهن يجزين عنك خمسين صلاة فان كل حسنة بعشر أمثالها ، قال فرضي محمد ﷺ كل الرضا ، قال وكان موسى عليه السلام من أشدهم عليه حين مر به وخيرهم له حين رجع اليه . ثم رواه ابن جرير عن محمد بن عبيد الله عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن أبي جعفر الرازي عن الربيع ابن أنس عن أبي العالية أو غيره شك أبو جعفر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره بمعناه وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي عن أبي سعيد الماليني عن ابن عدي عن محمد بن الحسن السكوني البالسي بالرملة حدثنا علي بن سهل فذكر مثل ما رواه ابن جرير عنه ، وذكر البيهقي أن الحاكم أبا عبد الله رواه عن إسماعيل بن محمد بن الفضل بن محمد الشعراني عن جده عن إبراهيم بن حمزة الزبيري عن حاتم بن إسماعيل حدثني عيسى بن ماهان يعني أبا جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فذكره . وقال ابن أبي حاتم ذكر أبو زرعة حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا يونس بن بكير حدثنا عيسى بن عبد الله التيمي عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس البكري عن أبي العالية أو غيره شك عيسى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام)

فذكر الحديث بطوله كنحو مما سقناه (قلت) وأبو جعفر الرازى قال فيه الحافظ أبو زرعة الرازى يهم فى الحديث كثيراً وقد ضعفه غيره أيضاً ووثقه بعضهم ، والظاهر أنه سيء الحفظ ففيما تفرد به نظر . وهذا الحديث فى بعض ألفاظه غرابة ونكارة شديدة وفيه شيء من حديث المنام فى رواية سمرة بن جندب فى المنام الطويل عند البخارى ويشبه أن يكون مجموعا من أحاديث شتى أو منام أو قصة أخرى غير الإسراء والله أعلم

وقد روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهرى أخبرنى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « حين أسرى بى لقيت موسى عليه السلام — فنعته فإذا رجل حسبته قال — مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة ، قال ولقيت عيسى — فنعته النبى ﷺ قال — ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس — يعنى حمام قال — ولقيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به قال وأتيت بإناءين فى أحدهما لبن وفى الآخر خمر قيل لى خذ أيهما شئت فأخذت اللبن فشربت فقيل لى هديت الفطرة — أو أصبت الفطرة — أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك » وأخرجاه من وجه آخر عن الزهرى به نحوه وفى صحيح مسلم عن محمد بن رافع عن الحجين بن المثنى عن عبد العزيز بن أبى سلمة عن عبدالله بن الفضل الهاشمى عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى فسألونى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله إلى أنظر إليه ما سألونى عن شىء إلا أنبأتهم به وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء وإذا موسى قائم يصلى وإذا هو رجل جعد كأنه من رجال شنوءة وإذا عيسى بن مريم قائم يصلى أقرب الناس شبها به عروة بن مسعود الثقفى وإذا إبراهيم قائم يصلى أقرب الناس شبها به صاحبكم — يعنى نفسه — فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت قال قائل يا محمد هذا مالك خازن جهنم فالتفت إليه فبدأنى بالسلام » وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أبى الصلت عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « رأيت ليلة أسرى بى لما انتهيت إلى السماء السابعة فنظرت فوق فإذا رعد وبرق وصواعق قال وأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحياة ترى من خارج بطونهم فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء آكلوا الربا، فلما نزلت إلى السماء الدنيا نظرت أسفل منى فإذا أنا برهج ودخان وأصوات فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال هذه الشياطين يحومون على أعين بنى آدم لا يتفكرون فى ملكوت السموات والأرض ولولا ذلك لرأوا العجائب» ورواه الإمام أحمد عن حسن وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة به ورواه ابن ماجه من حديث حماد به ﴿ رواية جماعة من الصحابة ممن تقدم وغيرهم ﴾ قال الحافظ البيهقى حدثنا أبو عبد الله يعنى الحاكم حدثنا عبدالله بن يزيد بن يعقوب الدقاق الهمدانى حدثنا إبراهيم بن الحسين الهمدانى حدثنا أبو محمد هو إسماعيل بن موسى الفزارى حدثنا عمر بن سعد النضرى من بنى نضرة بن معين حدثنى عبد العزيز وليس بن أبى سليم وسليمان الأعمش وعطاء بن السائب بعضهم يزيد فى الحديث على بعض عن على بن أبى طالب وعبد الله بن عباس وعن محمد ابن إسحق بن يسار عمن حدثه عن ابن عباس وعن سليم بن مسلم العقيلى عن عامر الشعبى عن عبد الله بن مسعود وجويبر عن الضحاك بن مزاحم قالوا كان رسول الله ﷺ فى بيت أم هانىء راقداً وقد صلى العشاء الآخرة قال أبو عبد الله الحاكم قال لنا هذا الشيخ وذكر الحديث فكتبت المتن من نسخة مسموعة منه فذكر حديثا طويلا يذكر فيه عدد الدرج والملائكة وغير ذلك مما لا ينكر شىء منها فى قدرة الله إن صحت الرواية . قال البيهقى فيما ذكرنا قبل فى حديث أبى هارون العبدى فى إثبات الإسراء والمعراج كفاية وبالله التوفيق (قلت) وقد أرسل هذا الحديث غير واحد من التابعين وأئمة المفسرين رحمة الله عليهم أجمعين ﴿ رواية عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ﴾ قال البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنى مكرم بن أحمد القاضى حدثنى إبراهيم بن الهيثم البكرى حدثنى محمد بن كثير الصنعانى حدثنا معمر بن راشد عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت لما أسرى برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه وسعوا بذلك إلى أبى بكر فقالوا هل لك فى صاحبك ؟ يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس فقال أو قال ذلك ؟ قالوا نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا فتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ، قال نعم إنى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه فى خبر

السماء فى غدوة أو روحة فلذلك سمى أبو بكر الصديق ﴿ رواية أم هانىء بنت أبى طالب ﴾ قال محمد بن إسحق حدثنى محمد بن محمد السائب الكلبى عن أبى صالح باذان عن أم هانىء بنت أبى طالب فى مسرى رسول الله ﷺ أنها كانت تقول ما أسرى برسول الله ﷺ إلا وهو فى بيتى نائم عندى تلك الليلة فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا فلما كان قبيل الفجر أهبنا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا معه قال «يا أم هانىء لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادى ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين » الكلبى متروك بمرة ساقط لكن رواه أبو يعلى فى مسنده عن محمد بن إسماعيل الأنصارى عن ضمرة بن ربيعة عن يحيى بن أبى عمرو الشيبانى عن أبى صالح عن أم هانىء بأبسط من هذا السياق فليكتب ههنا وروى الحافظ أبو القاسم الطبرانى من حديث عبد الأعلى بن أبى المساور عن عكرمة عن أم هانىء قالت بات رسول الله ﷺ ليلة أسرى به فى بيتى ففقدته من الليل فامتنع منى النوم مخافة أن يكون عرض له بعض قريش فقال رسول الله ﷺ « إن جبريل عليه السلام أتانى فأخذ بيدى فأخرجنى فإذا على الباب دابة دون البغل وفوق الحمار فحملنى عليها ثم انطلق حتى انتهى بى إلى بيت المقدس فأرانى إبراهيم عليه السلام يشبه خلقه خلقى ويشبه خلقى خلقه وأرانى موسى آدم طويلا سبط الشعر شبهته برجال أزد شنوءة ، وأرانى عيسى بن مريم ربعة أبيض يضرب إلى الحمرة شبهته بعروة بن مسعود الثقفى ، وأرانى الدجال ممسوح العين اليمنى شبهته بقطن بن عبد العزى — قال — وأنا أريد أنا أخرج إلى قريش فأخبرهم بما رأيت » فأخذت بثوبه فقلت إنى أذكرك الله إنك تأتى قومك يكذبونك وينكرون مقالتك فأخاف أن يسطوا بك قالت فضرب ثوبه من يدى ثم خرج إليهم فأتاهم وهم جلوس فأخبرهم ما أخبرنى فقام جبير بن مطعم فقال يا محمد أن لو كنت لك شأن كما كنت ما تكلمت بما تكلمت به وأنت بين ظهرانينا . فقال رجل من القوم يا محمد هل مررت بإبل لنا فى مكان كذا وكذا ؟ قال « نعم والله قد وجدتهم قد أضلوا بعيرا لهم فهم فى طلبه » قال هل مررت بإبل لبنى فلان ؟ قال « نعم وجدتهم فى مكان كذا وكذا وقد أنكسرت لهم ناقة حمراء وعندهم قصعة من ماء فشربت ما فيها » قالوا فأخبرنا عدتها وما فيها من الرعاة قال « قد كنت عن عدتها مشغولا » فقام فأوتى بالإبل فعدها وعلم ما فيها من الرعاة ثم أتى قريشاً فقال لهم « سألتمونى عن إبل بنى فلان فهى كذا وكذا وفيها من الرعاة فلان وفلان وسألتمونى عن إبل بنى فلان فهى كذا وكذا وفيها من الرعاة ابن أبى قحافة وفلان وفلان وهى تصبحكم بالغداة على الثنية » قال فقعدوا على الثنية ينظرون أصدقهم ما قال فاستقبلوا الإبل فسألوهم هل ضل لكم بعير ؟ فقالوا نعم فسألوا الآخر هل انكسرت لكم ناقة حمراء قالوا نعم قالوا فهل كانت عندكم قصعة قال أبو بكر أنا والله وضعتها فما شربها أحد ولا أهراقوه فى الأرض فصدقه أبو بكر وآمن به فسمى يومئذ الصديق

﴿ فصل ﴾ وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها يحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس وأنه مرة واحدة ، وإن اختلف عبارات الرواة فى أدائه أو زاد بعضهم فيه أو نقص منه فان الخطأ جائز على من عدا الأنبياء عليهم السلام ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة فأثبت اسرا آت متعددة فقد أبعد وأغرب ، وهرب إلى غير مهرب ولم يتحصل على مطلب . وقد صرح بعضهم من المتأخرين بأنه عليه السلام أسرى به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط ومرة من مكة إلى السماء فقط ومرة إلى بيت المقدس ومنه إلى السماء وفرج بهذا المسلك وأنه قد ظفر بشىء يخلص به من الاشكالات وهذا بعيد جدا ولم ينقل هذا عن أحد من السلف ولو تعدد هذا التعدد لأخبر النبى صلى الله عليه وسلم به أمته ولنقله الناس على التعدد والتكرر. قال موسى بن عقبة عن الزهرى كان الإسراء قبل الهجرة بسنة وكذا قال عروة وقال السدى بستة عشر شهرا والحق أنه عليه السلام أسرى به يقظة لا مناما من مكة إلى بيت المقدس راكباً البراق فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله فصلى فى قبلته تحية المسجد ركعتين ثم أتى بالمعراج وهو كالسلم ذو درج يرقى فيها فصعد فيه إلى السماء الدنيا ثم إلى بقية السموات السبع فتلقاه من كل سماء

مقربوها وسلم على الأنبياء الذين فى السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم حتى مر بموسى الكليم فى السادسة وإبراهيم الخليل فى السابعة ثم جاوز منزلتيهما صلى الله وسلم وعليهما وعلى سائر الأنبياء حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام أى أقلام القدر بما هو كائن ورأى سدرة المنتهى وغشيها من أمر الله تعالى عظمة عظيمة من فراش من ذهب وألوان متعددة وغشيتها الملائكة ورأى هناك جبريل على صورته وله ستمائة جناح ورأى رفرفاً أخضر قد سد الأفق . ورأى البيت المعمور وإبراهيم الخليل باني الكعبة الأرضية مسند ظهره إليه لأنه الكعبة السماوية يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون فيه ثم لا يعودون اليه إلى يوم القيامة . ورأى الجنة والنار وفرض الله عليه هنالك الصلوات خمسين ثم خففها إلى خمس رحمة منه ولطفاً بعباده وفى هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها . ثم هبط إلى بيت المقدس وهبط معه الأنبياء فصلى بهم فيه لما حانت الصلاة . ويحتمل أنها الصبح من يومئذ ، ومن الناس من يزعم أنه أمهم فى السماء والذى تظاهرت به الروايات أنه ببيت المقدس ولكن فى بعضها أنه كان أول دخوله اليه . والظاهر أنه بعد رجوعه اليه لأنه لما مر بهم فى منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحدا واحدا وهو يخبره بهم وهذا هو اللائق لأنه كان أولا مطلوبا إلى الجناب العلوى ليفرض عليه وعلى أمته مايشاء الله تعالى ثم لما فرغ من الذى أريد به اجتمع به هو وإخوانه من النبيين ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه فى الإمامة وذلك عن إشارة جبريل عليه السلام له فى ذلك . ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد إلى مكة بغلس والله سبحانه وتعالى أعلم وأما عرض الآنية عليه من اللبن والعسل أو اللبن والخمر ، أو اللبن والماء أو الجميع فقد ورد أنه فى بيت المقدس وجاء أنه فى السماء . ويحتمل أن يكون ههنا وههنا لأنه كالضيافة للقادم والله أعلم ثم اختلف الناس هل كان الاسراء ببدنه عليه السلام وروحه أو بروحه فقط على قولين فالأكثرون من العلماء على أنه أسرى ببدنه وروحه يقظة لا مناما ولا ينكرون أن يكون رسول الله ﷺ رأى قبل ذلك مناما ثم رآه بعده يقظة لأنه كان عليه السلام لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح والدليل على هذا قوله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله) فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام فلو كان مناما لم يكن فيه كبير شىء ولم يكن مستعظما ولما بادرت كفار قريش إلى تكذيبه ولما ارتدت جماعة ممن كان قد أسلم ، وأيضا فان العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وقد قال (أسرى بعبده ليلا) وقال تعالى (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) قال ابن عباس هى رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به والشجرة الملعونة هى شجرة الزقوم . رواه البخارى ، وقال تعالى (مازاغ البصر وماطغى) والبصر من آلات الذات لا الروح وأيضا فانه حمل على البراق وهو دابة بيضاء براقة لها لمعان وإنما يكون هذا للبدن لا للروح لأنها لا تحتاج فى حركتها إلى مركب تركب عليه والله أعلم . وقال آخرون بل أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم بروحه لا بجسده قال محمد بن إسحق بن يسار فى السيرة حدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أن معاوية بن أبى سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال : كانت رؤيا من الله صادقة . وحدثنى بعض آل أبى بكر أن عائشة كانت تقول مافقد جسد رسول الله ﷺ ولكن أسرى بروحه . قال ابن إسحق فلم ينكر ذلك من قولها لقول الحسن إن هذه الآية نزلت (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) ولقول الله فى الخبر عن إبراهيم (إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى) قال ثم مضى على ذلك فعرفت أن الوحى يأتى للأنبياء من الله أيقاظا ونياما فكان رسول الله ﷺ يقول « تنام عيناى وقلبى يقظان » والله أعلم أى ذلك كان قد جاءه وعاين من الله فيه ماعاين على أى حالاته كان نائما أو يقظانا كل ذلك حق وصدق انتهى كلام ابن إسحق . وقد تعقبه أبو جعفر بن جرير فى تفسيره بالرد والانكار والتشنيع بأن هذا خلاف ظاهر سياق القرآن وذكر من الأدلة على رده بعض ماتقدم والله أعلم ﴿ فائدة حسنة جليلة ﴾ روى الحافظ أبو نعيم الأصبهانى فى كتاب دلائل النبوة من طريق محمد بن عمر الواقدى حدثنى مالك بن أبى الرجال عن عمر بن عبد الله عن محمد بن كعب القرظى . قال بعث رسول الله ﷺ دحية بن خليفة إلى قيصر فذكر وروده عليه وقدومه إليه ، وفى السياق دلالة عظيمة على وفور عقل هرقل ثم استدعى من بالشام من التجار فجىء بأبى سفيان

صخر بن حرب وأصحابه فسألهم عن تلك المسائل المشهورة التى رواها البخارى ومسلم كما سيأتى بيانه وجعل أبوسفيان يجهد أن يحقر أمره ويصغره عنده . قال فى هذا السياق عن أبى سفيان والله مامنعنى من أن أقول عليه قولا أسقطه من عينه إلا أنى أكره أن أكذب عنده كذبة يأخذها على ولا يصدقنى فى شىء . قال حتى ذكرت قوله ليلة أسرى به قال فقلت أيها الملك ألاأخبرك خبراً تعرف أنه قد كذب ؟ قال وماهو ، قال قلت إنه يزعم لنا أنه خرج من أرضنا أرض الحرم فى ليلة فجاء مسجدكم هذا مسجد إيلياء ورجع إلينا تلك الليلة قبل الصباح . قال وبطريق إيلياء عند رأس قيصر فقال بطريق إيلياء قد علمت تلك الليلة قال فنظر اليه قيصر وقال وما علمك بهذا قال إنى كنت لا أنام ليلة حتى أغلق أبواب المسجد فلما كان تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبنى فاستعنت عليه بعمالى ومن يحضرنى كلهم معالجة فغلبنا فلم نستطع أن نحركه كأنما نزاول به جبلا فدعوت اليه النجاجرة فنظروا اليه فقالوا إن هذا الباب سقط عليه النجاف والبنيان ولا نسطيع أن نحركه حتى نصبح فننظر من أين أتى . قال فرجعت وتركت البابين مفتوحين . فلما أصبحت غدوت عليهما فإذا الحجر الذى فى زاوية المسجد مثقوب وإذا فيه أثر مربط الدابة قال فقلت لأصحابى ماحبس هذا الباب الليلة إلا على نبى ، وقد صلى الليلة فى مسجدنا وذكر تمام الحديث (فائدة) قال الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية فى كتابه ﴿ التنوير فى مولد السراج المنير ﴾ وقد ذكر حديث الاسراء من طريق أنس وتكلم عليه فأجاد وأفاد ثم قال : وقد تواترت الروايات فى حديث الاسراء عن عمر بن الخطاب وعلى وابن مسعود وأبى ذر ومالك بن صعصعة وأبى هريرة وأبى سعيد وابن عباس وشداد بن أوس وأبى بن كعب وعبد الرحمن بن قرط وأبى حبة وأبى ليلى الأنصاريين وعبد الله بن عمرو وجابر وحذيفة وبريدة وأبى أيوب وأبى أمامة وسمرة بن جندب وأبى الحمراء وصهيب الرومى وأم هانىء وعائشة وأسماء ابنتى أبى بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين ، منهم من ساقه بطوله ومنهم من اختصره على ماوقع فى المسانيد ، وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة فحديث الاسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملحدون (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا * ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾

لما ذكر تعالى أنه أسرى بعبده محمد ﷺ عطف بذكر موسى عبده ورسوله وكليمه أيضاً فانه تعالى كثيراً مايقرن بين ذكر موسى ومحمد عليهما من الله الصلاة والسلام وبين ذكر التوراة والقرآن ولهذا قال بعد ذكر الإسراء (وآتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (وجعلناه) أى الكتاب (هدى) أى هادياً (لبنى إسرائيل أن لاتتخذوا) أى لئلا تتخذوا (من دونى وكيلا) أى وليا ولانصيراً ولامعبوداً دونى لأن الله تعالى أنزل على كل نبى أرسله أن يعبده وحده لاشريك له ثم قال (ذرية من حملنا مع نوح) تقديره ياذرية من حملنا مع نوح فيه تهييج وتنبيه على المنة أى ياسلالة من نجينا فحملنا مع نوح فى السفينة تشبهوا بأبيكم (إنه كان عبدا شكوراً) فاذكروا أنتم نعمتى عليكم بإرسالى إليكم محمداً صلى صلى الله عليه وسلم وقد ورد فى الحديث وفى الأثر عن السلف أن نوحاً عليه السلام كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله فلهذا سمى عبداً شكوراً . قال الطبرانى حدثنا على بن عبد العزيز حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبى حصين عن عبد الله بن سنان عن سعد بن مسعود الثقفى قال إنما سمى نوح عبداً شكوراً لأنه كان إذا أكل أوشرب حمد الله وقال الإمام أحمد حدثنا أبو أسامة حدثنا زكريا بن أبى زائدة عن سعيد بن أبى بردة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أويشرب الشربة فيحمد الله عليها » وهكذا رواه مسلم والترمذى والنسائى من طريق أبى أسامة به ، وقال مالك عن زيد بن أسلم كان يحمد الله على كل حال ، وقد ذكر البخارى هنا حديث أبى زرعة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال

«أناسيد ولد آدم يوم القيامة ـ بطوله ، وفيه ـ فيأتون نوحا فيقولون يانوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبدا شكورا فاشفع لنا إلى ربك» وذكر الحديث بكماله

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ فِي الْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَٰلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوٓءُا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا * عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾

يخبر تعالى أنه قضى إلى بنى إسرائيل فى الكتاب أى تقدم إليهم وأخبرهم فى الكتاب الذى أنزله عليهم أنهم سيفسدون فى الأرض مرتين ويعلون علوا كبيرا أى يتجبرون ويطغون ويفجرون على الناس كقوله تعالى (وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) أى تقدمنا إليه وأخبرناه بذلك وأعلمناه به . وقوله (فإذا جاء وعد أولاهما) أى أولى الافسادتين (بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد) أى سلطنا عليكم جندا من خلقنا أولى بأس شديد أى قوة وعدة وسلطنة شديدة فجاسوا خلال الديار أى تملكوا بلادكم وسلكوا خلال بيوتكم أى بينها ووسطها وانصرفوا ذاهبين وجائين لا يخافون أحدا وكان وعدا مفعولا . وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف فى هؤلاء المسلطين عليهم من هم ؟ فعن ابن عباس وقتادة أنه جالوت الجزرى وجنوده سلط عليهم أولا ثم أديلوا عليه بعد ذلك. وقتل داود جالوت ولهذا قال (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) الآية وعن سعيد بن جبير أنه ملك الموصل سنجاريب وجنوده وعنه أيضاً وعن غيره أنه بختنصر ملك بابل وقد ذكر ابن أبى حاتم له قصة عجيبة فى كيفية ترقيه من حال إلى حال إلى أن ملك البلاد وأنه كان فقيرا مقعدا ضعيفاً يستعطى الناس ويستطعمهم ثم آل به الحال إلى ما آل وأنه سار إلى بلاد بيت المقدس فقتل بها خلقا كثيرا من بنى إسرائيل ، وقد روى ابن جرير فى هذا المكان حديثا أسنده عن حذيفة مرفوعا مطولا وهو حديث موضوع لا محالة لا يستريب فى ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث والعجب كل العجب كيف راج عليه مع جلالة قدره وإمامته وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة أبو الحجاج المزى رحمه الله بأنه موضوع مكذوب وكتب ذلك على حاشية الكتاب . وقد وردت فى هذا آثار كثيرة إسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها لأن منها ماهو موضوع من وضع بعض زنادقتهم ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحا ونحن فى غنية عنها ولله الحمد . وفيما قص الله علينا فى كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله ولم يحوجنا الله ولا رسوله إليهم . وقد أخبر الله عنهم أنهم لما طغوا وبغوا سلط الله عليهم عدوهم فاستباح بيضتهم وسلك خلال بيوتهم وأذلهم وقهرهم جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد فانهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقا من الأنبياء والعلماء وقد روى ابن جرير حدثنى يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرنى سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : ظهر بختنصر على الشام فخرب بيت المقدس وقتلهم ثم أتى دمشق فوجد بها دما يغلى على كبا فسألهم ماهذا الدم : فقالوا أدركنا آباءنا على هذا وكلما ظهر عليه البكبا ظهر قال فقتل على ذلك الدم سبعين ألفا من المسلمين وغيرهم فسكن وهذا صحيح إلى سعيد بن المسيب وهذا هو المشهور وأنه قتل أشرافهم وعلماءهم حتى إنه لم يبق من يحفظ التوراة وأخذ معه منهم خلقا كثيرا أسرى من أبناء الأنبياء وغيرهم وجرت أمور وكوائن يطول ذكرها ولو وجدنا ماهو صحيح أوما يقاربه لجاز كتابته وروايته والله أعلم ثم قال تعالى (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) أى فعليها كما قال تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها)

وقوله (فإذا جاء وعد الآخرة) أى الكرة الآخرة أى إذا أفسدتم الكرة الثانية وجاء أعداؤكم (ليسوءوا وجوهكم) أى يهينوكم ويقهروكم (وليدخلوا المسجد) أى بيت المقدس (كما دخلوه أول مرة) أى فى التى جاسوا فيها خلال الديار (وليتبروا) أى يدمروا ويخربوا (ما علوا) أى ماظهروا عليه (تتبيرا * عسى ربكم أن يرحمكم) أى فيصرفهم عنكم (وإن عدتم عدنا) أى متى عدتم إلى الافساد (عدنا) إلى الإدالة عليكم فى الدنيا مع ماندخره لكم فى الآخرة من العذاب والنكال ، ولهذا قال (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) أى مستقرا ومحصرا وسجنا لا محيد لهم عنه قال ابن عباس حصيرا أى سجناً وقال مجاهد يحصرون فيها وكذا قال غيره ؛ وقال الحسن فراشا ومهادا ، وقال قتادة قد عاد بنو إسرائيل فسلط الله عليهم هذا الحى محمد ﷺ وأصحابه يأخذون منهم الجزية عن يدوهم صاغرون

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا * وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

يمدح تعالى كتابه العزيز الذى أنزله على رسوله محمد ﷺ وهو القرآن بأنه يهدى لأقوم الطرق وأوضح السبل ويبشر المؤمنين به الذين يعملون الصالحات على مقتضاه أن لهم أجرا كبيرا أى يوم القيامة وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أى ويبشر الذين لا يؤمنون بالآخرة أن لهم عذابا أليما أى يوم القيامة كما قال تعالى (فبشرهم بعذاب أليم)

﴿ وَيَدْعُ الْإِنسَٰنُ بِالشَّرِّ دُعَآءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾

يخبر تعالى عن عجلة الإنسان ودعائه فى بعض الأحيان على نفسه أو ولده أو ماله بالشر أى بالموت أو الهلاك والدمار واللعنة ونحو ذلك فلو استجاب له ربه لهلك بدعائه كما قال تعالى (ولو يعجل الله للناس الشر) الآية وكذا فسره ابن عباس ومجاهد وقتادة وقد تقدم فى الحديث « لا تدعوا على أنفسكم ولا على أموالكم أن توافقوا من الله ساعة إجابة يستجيب فيها» وإنما يحمل ابن آدم على ذلك قلقه وعجلته ولهذا قال تعالى (وكان الإنسان عجولا) وقد ذكر سلمان الفارسى وابن عباس ههنا قصة آدم عليه السلام حين هم بالنهوض قائما قبل أن تصل الروح إلى رجليه وذلك أنه جاءته النفخة من قبل رأسه فلما وصلت إلى دماغه عطس فقال الحمد لله فقال الله : يرحمك ربك ياآدم . فلما وصلت إلى عينيه فتحهما فلما سرت إلى أعضائه وجسده جعل ينظر إليه ويعجبه فهم بالنهوض قبل أن تصل إلى رجليه فلم يستطع ، وقال يارب عجل قبل الليل

﴿ وَجَعَلْنَا الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ الَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾

يمتن تعالى على خلقه بآياته العظام فمنها مخالفته بين الليل والنهار ليسكنوا فى الليل وينتشروا فى النهار للمعايش والصنائع والأعمال والأسفار وليعلموا عدد الأيام والجمع والشهور والأعوام ويعرفوا مضى الآجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات والاجارات وغير ذلك ولهذا قال (لتبتغوا فضلا من ربكم) أى فى معايشكم وأسفاركم ونحو ذلك (ولتعلموا عدد السنين والحساب) فانه لو كان الزمان كله نسقا واحداً وأسلوباً متساوياً لما عرف شىء من ذلك كما قال تعالى (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء ؟ أفلا تسمعون * قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون * ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) وقال تعالى (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجاً وقمرا منيرا وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا) وقال تعالى (وله اختلاف الليل والنهار) وقال (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل

يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار) وقال تعالى (فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم) وقال تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) ثم إنه تعالى جعل الليل آية أى علامة يعرف بها وهى الظلام وظهور القمر فيه ، وللنهار علامة وهى النور وطلوع الشمس النيرة فيه وفاوت بين نور القمر وضياء الشمس ليعرف هذا من هذا كما قال تعالى (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق — إلى قوله — لآيات لقوم يتقون) وقال تعالى (يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج) الآية قال ابن جريج عن عبد الله ابن كثير فى قوله (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) قال ظلمة الليل وسدف النهار وقال ابن جريج عن مجاهد الشمس آية النهار والقمر آية الليل (فمحونا آية الليل) قال : السواد الذى فى القمر وكذلك خلقه الله تعالى وقال ابن جريج قال ابن عباس كان القمر يضىء كما تضىء الشمس والقمر آية الليل والشمس آية النهار فمحونا آية الليل السواد الذى فى القمر وقد روى أبو جعفر بن جرير من طرق متعددة جيدة أن ابن الكواء سأل أمير المؤمنين على بن أبى طالب فقال يا أمير المؤمنين ماهذه اللطخة التى فى القمر فقال ويحك أما تقرأ القرآن ؟ فمحونا آية الليل فهذه محوه . وقال قتادة فى قوله (فمحونا آية الليل) كنا نحدث أن محو آية الليل سواد القمر الذى فيه وجعلنا آية النهار مبصرة أى منيرة وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم وقال ابن أبى نجيح عن ابن عباس (وجعلنا الليل والنهار آيتين) قال ليلا ونهارا كذلك خلقهما الله عز وجل

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ ۖ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾

يقول تعالى بعد ذكر الزمان وذكر ما يقع فيه من أعمال بنى آدم (وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه) وطائره هو ما طار عنه من عمله كما قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما من خير وشر ويلزم به ويجازى عليه (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وقال تعالى (عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) وقال (وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون) وقال (إنما تجزون ما كنتم تعملون) وقال (من يعمل سوءا يجز به) الآية والمقصود أن عمل ابن آدم محفوظ عليه قليله وكثيره ويكتب عليه ليلا ونهارا صباحا ومساء

وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن أبى الزبير عن جابر سمعت رسول الله ﷺ يقول « لطائر كل إنسان فى عنقه » قال ابن لهيعة يعنى الطيرة ، وهذا القول من ابن لهيعة فى تفسير هذا الحديث غريب جداً والله أعلم . وقوله (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) أى نجمع له عمله كله فى كتاب يعطاه يوم القيامة إما بيمينه إن كان سعيدا أو بشماله إن كان شقيا منشورا أى مفتوحا يقرؤه هو وغيره فيه جميع عمله من أول عمره إلى آخره (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر * بل الإنسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره) ولهذا قال تعالى (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) أى إنك تعلم أنك لم تظلم ولم يكتب عليك إلا ما عملت لأنك ذكرت جميع ما كان منك ولا ينسى أحد شيئا مما كان منه . وكل أحد يقرأ كتابه من كاتب وأمى وقوله (ألزمناه طائره فى عنقه) إنما ذكر العنق لأنه عضو من الأعضاء لا نظير له فى الجسد ، ومن ألزم بشىء فيه فلا محيد له عنه كما قال الشاعر .

اذهب بها اذهب بها طوقتها طوق الحمام

قال قتادة عن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ أنه قال « لا عدوى ولا طيرة وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه » كذا رواه ابن جرير ، وقد رواه الإمام عبد بن حميد فى مسنده متصلا فقال : حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة عن أبى الزبير عن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « طير كل عبد فى عنقه »

وقال الإمام أحمد حدثنا على بن إسحق حدثنا عبد الله حدثنا ابن لهيعة حدثنى يزيد أن أبا الخير حدثه أنه سمع عقبة بن عامر

رضى الله عنه يحدث عن النبي ﷺ قال « ليس من عمل يوم إلا وهو يختم عليه ، فإذا مرض المؤمن قالت الملائكة يارب بنا عبدك فلان قد حبسته فيقول الرب جل جلاله : اختموا له على مثل عمله حتى يبرأ أو يموت » إسناده جيد قوى ولم يخرجوه وقال معمر عن قتادة (ألزمناه طائره فى عنقه) قال عمله (ونخرج له يوم القيامة) قال نخرج ذلك العمل (كتابا يلقاه منشورا) قال معمر وتلا الحسن البصرى (عن اليمين وعن الشمال قعيد) يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك فأما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك ، وأما الذى عن شمالك فيحفظ سيئاتك ، فاعمل ماشئت أقلل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفتك فجعلت فى عنقك معك فى قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتابا تلقاه منشورا اقرأ كتابك الآية فقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك هذا من أحسن كلام الحسن رحمه الله

﴿ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾

يخبر تعالى أن من اهتدى واتبع الحق واقتفى أثر النبوة فإنما يحصل عاقبة ذلك الحميدة لنفسه (ومن ضل) أى عن الحق وزاغ عن سبيل الرشاد فإنما يجنى على نفسه وإنما يعود وبال ذلك عليه ثم قال (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا يحمل أحد ذنب أحد ولا يجنى جان إلا على نفسه كما قال تعالى (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شىء) ولا منافاة بين هذا وبين قوله (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم) وقوله (ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) فإن الدعاة عليهم إثم ضلالتهم فى أنفسهم وإثم آخر بسبب ما أضلوا من أضلوا من غير أن ينقص من أوزار أولئك ولا يحمل عنهم شيئا وهذا من عدل الله ورحمته بعباده وكذا قوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) اخبار عن عدله تعالى وأنه لا يعذب أحد إلا بعد قيام الحجة عليه بارسال الرسول إليه كقوله تعالى (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير *قالوا بلى قد جاء نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء إن أنتم إلا فى ضلال كبير) وكذا قوله (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ، قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) وقال تعالى (وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل ، أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى لا يدخل أحدا النار إلا بعد إرسال الرسول إليه ، ومن ثم طعن جماعة من العلماء فى اللفظة التى جاءت معجمة فى صحيح البخارى عند قوله تعالى (إن رحمة الله قريب من المحسنين)

حدثنا عبد الله بن سعد حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن صالح بن كيسان عن الأعرج بإسناده إلى أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « اختصمت الجنة والنار » فذكر الحديث إلى أن قال « وأما الجنة فلا يظلم الله من خلقه أحداً وإنه ينشىء للنار خلقا فيلقون فيها فتقول هل من مزيد ؟ ثلاثا » وذكر تمام الحديث فهذا إنما جاء فى الجنة لأنها دار فضل وأما النار فانها دار عدل لا يدخلها أحد إلا بعد الاعذار إليه وقيام الحجة عليه . وقد تكلم جماعة من الحفاظ فى هذه اللفظة وقالوا لعله انقلب على الراوى بدليل ما أخرجاه فى الصحيحين واللفظ للبخارى من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبى هريرة قال : قال النبى ﷺ « تحاجت الجنة والنار » فذكر الحديث إلى أن قال « فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع فيها قدمه فتقول قط قط فهنالك تمتلىء ويزوى بعضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحداً ، وأما الجنة فان الله ينشىء لها خلقا »

بقى ههنا مسئلة قد اختلف الأئمة رحمهم الله تعالى فيها قديما وحديثا وهى الولدان الذين ماتوا وهم صغار وآباؤهم كفار ماذا حكمهم وكذا المجنون والأصم والشيخ الخرف ومن مات فى الفترة ولم تبلغه دعوته وقد ورد فى شأنهم أحاديث أنا أذكرها لك بعون الله وتوفيقه ثم نذكر فصلا ملخصا من كلام الأئمة فى ذلك والله المستعان ﴿فالحديث الأول﴾ عن الأسود

ابن سريع قال الإمام أحمد حدثنا على بن عبد الله حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبى عن قتادة عن الأحنف بن قيس عن الأسود ابن سريع أن رسول الله ﷺ قال « أربعة يحتجون يوم القيامة : رجل أصم لا يسمع شيئاً . ورجل أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات فى فترة ، فأما الأصم فيقول رب قد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً ، وأما الأحمق فيقول رب قد جاء الاسلام والصبيان يحذفونى بالبعر ، وأما الهرم فيقول رب لقد جاء الاسلام وما أعقل شيئاً ، وأما الذى مات فى الفترة فيقول رب ما أتانى لك رسول . فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل اليهم أن ادخلوا النار ، فوالذى نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاماً » وبالاسناد عن قتادة عن الحسن عن أبى رافع عن أبى هريرة مثله غير أنه قال فى آخره « فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاما ، ومن لم يدخلها يسحب اليها » وكذا رواه إسحق بن راهويه عن معاذ بن هشام ، ورواه البيهقى فى كتاب الاعتقاد من حديث أحمد بن إسحق عن على بن عبد الله المدينى به وقال هذا إسناد صحيح ، وكذا رواه حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أبى رافع عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أربعة كلهم يدلى على الله بحجة » فذكر نحوه ، ورواه ابن جرير من حديث معمر عن همام عن أبى هريرة فذكره مرفوعاً ، ثم قال أبو هريرة فاقرأوا إن شئتم (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وكذا رواه معمر عن عبد الله بن طاوس عن أبيه عن أبى هريرة موقوفاً

(الحديث الثانى) عن أنس بن مالك . قال أبو داود الطيالسى حدثنا الربيع عن يزيد هو ابن أبان قال : قلنا لأنس يا أبا حمزة ما تقول فى أطفال المشركين ؟ فقال : قال رسول الله ﷺ « لم يكن لهم سيئات فيعذبوا بها فيكونوا من أهل النار ، ولم يكن لهم حسنات فيجازوا بها فيكونوا من أهل الجنة »

(الحديث الثالث) عن أنس أيضا . قال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن ليث عن عبد الوارث عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « يؤتى بأربعة يوم القيامة : بالمولود والمعتوه ومن مات فى الفترة والشيخ الفانى الهم كلهم يتكلم بحجته فيقول الرب تبارك وتعالى لعنق من النار ابرز ويقول لهم إنى كنت أبعث إلى عبادى رسلا من أنفسهم وإنى رسول نفسى إليكم ادخلوا هذه قال : فيقول من كتب عليه الشقاء يارب أنى ندخلها ومنها كنا نفر ؟ قال ومن كتب عليه السعادة يمضى فيقتحم فيها مسرعاً ، قال : فيقول الله تعالى أنتم لرسلى أشد تكذيباً ومعصية فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار ، وهكذا رواه الحافظ أبو بكر البزار عن يوسف بن موسى عن جرير بن عبد الحميد بإسناده مثله (الحديث الرابع) عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده أيضاً حدثنا قاسم بن أبى شيبة حدثنا عبد الله يعنى ابن داود عن عمر بن ذر عن يزيد بن أمية عن البراء قال . سئل رسول الله ﷺ عن أطفال المسلمين قال « هم مع آبائهم » وسئل عن أولاد المشركين فقال « هم مع آبائهم » فقيل يارسول الله مايعملون ، قال « الله أعلم بهم » ورواه عمر بن ذر عن يزيد بن أمية عن رجل عن البراء عن عائشة فذكره

(الحديث الخامس) عن ثوبان قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار فى مسنده حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى حدثنا ريحان بن سعيد حدثنا عباد بن منصور عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى أسماء عن ثوبان أن النبى ﷺ عظم شأن المسألة قال « إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوزارهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل الينا رسولا ولم يأتنا لك أمر ولو أرسلت الينا رسولا لكنا أطوع عبادك فيقول لهم ربهم أرأيتم إن أمرتكم بأمر تطيعونى ؟ فيقولون نعم ، فيأمرهم أن يعمدوا إلى جهنم فيدخلوها فينطلقون حتى إذا دنوا منها وجدوا لها تغيظاً وزفيراً فرجعوا إلى ربهم فيقولون ربنا أخرجنا أو أجرنا منها ، فيقول لهم ألم تزعموا أنى إن أمرتكم بأمر تطيعونى ؟ فيأخذ على ذلك مواثيقهم فيقول اعمدوا اليها فادخلوها فينطلقون حتى إذا رأوها فرقوا منها ورجعوا وقالوا ربنا فرقنا منها ولا نستطيع أن ندخلها فيقول ادخلوها داخرين » فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم « لو دخلوها أول مرة كانت عليهم برداً وسلاماً » ثم قال البزار ومتن هذا الحديث غير معروف إلا من هذا الوجه لم يروه عن أيوب إلا عباد ولا عن عباد إلا ريحان بن سعيد ، قلت وقد ذكره ابن حبان فى ثقاته ، وقال يحيى بن معين والنسائى لا بأس به ولم يرضه أبو داود ، وقال أبو حاتم شيخ لا بأس به يكتب حديثه ولا يحتج به (الحديث السادس) عن

أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري : قال الإمام محمد بن يحيى الذهلي حدثنا سعيد بن سليمان عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الهالك في الفترة والمعتوه والمولود : يقول الهالك في الفترة لم يأتني كتاب ، ويقول المعتوه رب لم تجعل لي عقلا أعقل به خيرا ولا شرا ، ويقول المولود رب لم أدرك العقل فترفع لهم نار فيقال لهم ردوها ، قال فيردها من كان في علم الله سعيدا لو أدرك العمل ، ويمسك عنها من كان في علم الله شقياً لو أدرك العمل ، فيقول إياي عصيتم فكيف لو أن رسلي أتتكم ؟ ! » وكذا رواه البزار عن محمد بن عمر بن هياج الكوفي عن عبيد الله بن موسى عن فضيل بن مرزوق به ثم قال لا يعرف من حديث أبي سعيد إلا من طريقه عن عطية عنه ، وقال في آخره « فيقول الله إياي عصيتم فكيف برسلي بالغيب » (الحديث السابع) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال هشام بن عمار ومحمد بن المبارك الصوري حدثنا عمرو بن واقد عن يونس بن جليس عن أبي إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل عن نبي الله ﷺ قال « يؤتى يوم القيامة بالممسوخ عقلا وبالهالك في الفترة وبالهالك صغيراً فيقول الممسوخ يارب لو آتيتني عقلا ما كان من آتيته عقلا بأسعد مني » وذكر في الهالك في الفترة والصغير نحو ذلك « فيقول الرب عز وجل إني آمركم بأمر فتطيعوني ، فيقولون نعم فيقول اذهبوا فادخلوا النار قال ولو دخلوها ماضرتهم فتخرج عليهم قوابص فيظنون أنها قد أهلكت ماخلق الله من شيء فيرجعون سراعا ثم يأمرهم الثانية فيرجعون كذلك فيقول الرب عز وجل قبل أن أخلقكم علمت ما أنتم عاملون وعلى علمي خلقتكم وإلى علمي تصيرون ، ضمهم ، فتأخذهم النار » (الحديث الثامن) عن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه . قد تقدم روايته مدرجة مع رواية الأسود ابن سريع رضي الله عنه وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ، » وفي رواية قالوا : يارسول الله أفرأيت من يموت صغيراً ، قال « الله أعلم بما كانوا عاملين » . وقال الإمام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا عبد الرحمن بن ثابت عن عطاء بن قرة عن عبد الله بن ضمرة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما أعلم شك موسى قال « ذراري المسلمين في الجنة يكفلهم إبراهيم عليه السلام » وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد عن رسول الله ﷺ عن الله عز وجل أنه قال « إني خلقت عبادي حنفاء » وفي رواية لغيره « مسلمين » (الحديث التاسع) عن سمرة رضي الله عنه رواه الحافظ أبو بكر البرقاني في كتابه المستخرج على البخاري من حديث عوف الأعرابي . عن أبي رجاء العطاردي عن سمرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « كل مولود يولد على الفطرة » فناداه الناس يارسول الله وأولاد المشركين ، قال « وأولاد المشركين » وقال الطبراني : حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا عقبة ابن مكرم الضبي عن عيسى بن شعيب عن عباد بن منصور عن أبي رجاء عن سمرة قال سألنا رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين فقال « هم خدم أهل الجنة »

(الحديث العاشر) عن عم خنساء . قال أحمد حدثنا روح حدثنا عوف عن خنساء بنت معاوية عن بني صريم قالت حدثني عمي قال : قلت يارسول الله من في الجنة ، قال « النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود في الجنة والوئيد في الجنة » . فمن العلماء من ذهب إلى الوقوف فيهم لهذا الحديث ، ومنهم من جزم لهم بالجنة لحديث سمرة بن جندب في صحيح البخاري أنه عليه الصلاة والسلام قال في جملة ذلك المنام حين مر على ذلك الشيخ تحت الشجرة وحوله ولدان فقال له جبريل هذا إبراهيم عليه السلام وهؤلاء أولاد المسلمين . وأولاد المشركين قالوا يارسول الله وأولاد المشركين ، قال « نعم وأولاد المشركين » ومنهم من جزم لهم بالنار لقوله عليه السلام « هم مع آبائهم » ومنهم من ذهب إلى أنهم يمتحنون يوم القيامة في العرصات فمن أطاع دخل الجنة وانكشف علم الله فيهم بسابق السعادة ، ومن عصى دخل النار داخرا وانكشف علم الله فيه بسابق الشقاوة . وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها وقد صرحت به الأحاديث المتقدمة المتعاضدة الشاهد بعضها لبعض : وهذا القول هو الذي حكاه الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري عن أهل السنة والجماعة وهو الذي نصره الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الاعتقاد وكذلك غيره من محققي العلماء والحفاظ

والنقاد . وقد ذكر الشيخ أبو عمر بن عبد البر النمرى بعد ما تقدم من أحاديث الامتحان ثم قال ، وأحاديث هذا الباب ليست قوية ولا تقوم بها حجة وأهل العلم ينكرونها لأن الآخرة دار جزاء وليست بدار عمل ولا ابتلاء فكيف يكلفون دخول النار وليس ذلك فى وسع المخلوقين والله لا يكلف نفساً إلا وسعها ﴿ والجواب ﴾ عما قال أن أحاديث هذا الباب منها ما هو صحيح كما قدنص على ذلك كثير من أئمة العلماء ومنها ماهو حسن ومنها ماهو ضعيف يتقوى بالصحيح والحسن ، وإذا كانت أحاديث الباب الواحد متصلة متعاضدة على هذا النمط أفادت الحجة عند الناظر فيها . وأما قوله إن الدار الآخرة دار جزاء فلا شك أنها دار جزاء ولا ينافى التكليف فى عرصاتها قبل دخول الجنة أو النار كما حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعرى عن مذهب أهل السنة والجماعة من امتحان الأطفال وقد قال تعالى (يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود) الآية ، وقد ثبت فى الصحاح وغيرها أن المؤمنين يسجدون لله يوم القيامة وأن المنافق لا يستطيع ذلك ويعود ظهره كالصفيحة الواحدة طبقا واحدا كلما أراد السجود خر لقفاه . وفى الصحيحين فى الرجل الذى يكون آخر أهل النار خروجا منها أن الله يأخذ عهوده ومواثيقه أن لا يسأل غير ما هو فيه ويتكرر ذلك مراراً ويقول الله تعالى يا ابن آدم ما أغدرك ثم يأذن له فى دخول الجنة ، وأما قوله فكيف يكلفهم الله دخول النار وليس ذلك فى وسعهم فليس هذا بمانع من صحة الحديث فان الله يأمر العباد يوم القيامة بالجواز على الصراط وهو جسر على جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة ويمر المؤمنون عليه بحسب أعمالهم كالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب ومنهم الساعى ومنهم الماشى ومنهم من يحبو حبواً ومنهم المكدوش على وجهه فى النار . وليس ما ورد فى أولئك بأعظم من هذا بل هذا أطم وأعظم ، وأيضاً فقد ثبتت السنة بأن الدجال يكون معه جنة ونار ، وقد أمر الشارع المؤمنين الذين يدركونه أن يشرب أحدهم من الذى يرى أنه نار فانه يكون عليه بردا وسلاما فهذا نظير ذاك ، وأيضا فان الله تعالى أمر بنى إسرائيل أن يقتلوا أنفسهم فقتل بعضهم بعضا حتى قتلوا فيما قيل فى غداة واحدة سبعين ألفا يقتل الرجل أباه وأخاه وهم فى عماية غمامة أرسلها الله عليهم وذلك عقوبة لهم على عبادتهم العجل وهذا أيضا شاق على النفوس جدا لا يتقاصر عما ورد فى الحديث المذكور والله أعلم . ﴿ فصل ﴾ إذا تقرر هذا فقد اختلف الناس فى ولدان المشركين على أقوال ﴿ أحدها ﴾ أنهم فى الجنة واحتجوا بحديث سمرة أنه عليه السلام رأى مع إبراهيم عليه السلام أولاد المسلمين وأولاد المشركين وبما تقدم فى رواية أحمد عن خنساء عن عمها أن رسول الله ﷺ قال « والمولود فى الجنة » وهذا استدلال صحيح ولكن أحاديث الامتحان أخص منه . فمن علم الله منه أنه يطيع جعل روحه فى البرزخ مع إبراهيم وأولاد المسلمين الذين ماتوا على الفطرة ، ومن علم منه أنه لا يجيب فأمره إلى الله تعالى ويوم القيامة يكون فى النار كما دلت عليه أحاديث الامتحان ونقله الأشعرى عن أهل السنة ، ثم إن هؤلاء القائلين بأنهم فى الجنة منهم من يجعلهم مستقلين فيها ومنهم من يجعلهم خدما لهم كما جاء فى حديث على بن زيد عن أنس عند أبى داود الطيالسى وهو ضعيف والله أعلم

(والقول الثانى) أنهم مع آبائهم فى النار واستدل عليه بما رواه الإمام أحمد بن حنبل عن أبى المغيرة حدثنا عتبة بن ضمرة ابن حبيب حدثنى عبد الله بن أبى قيس مولى غطيف أنه أتى عائشة فسألها عن ذرارى الكفار فقالت: قال رسول الله ﷺ « هم تبع لآبائهم » فقلت يا رسول الله بلا أعمال ؟ فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين » وأخرجه أبو داود من حديث محمد بن حرب عن محمد بن زياد الالهانى سمعت عبد الله بن أبى قيس سمعت عائشة تقول سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذرارى المؤمنين قال « هم مع آبائهم » قلت فذرارى المشركين ؟ قال « هم مع آبائهم » فقلت بلا عمل ؟ قال « الله أعلم بما كانو عاملين » ورواه أحمد أيضاً عن وكيع عن أبى عقيل يحيى بن المتوكل وهو متروك عن مولاته بهية عن عائشة أنها ذكرت أطفال المشركين لرسول الله ﷺ فقال « إن شئت أسمعتك تضاغيهم فى النار » وروى عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا عثمان بن أبى شيبة عن محمد بن فضيل بن غزوان عن محمد بن عثمان عن زاذان عن على رضى الله عنه قال : سألت خديجة رسول الله ﷺ عن ولدين لها ماتا فى الجاهلية فقال « هما فى النار » قال فلما رأى الكراهية فى وجهها فقال لها « لو رأيت مكانهما لأبغضتهما » قالت فولدى منك ؟ قال

« إن المؤمنين وأولادهم فى الجنة وإن المشركين وأولادهم فى النار ـ ثم قرأ ـ (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم) » وهذا حديث غريب فان فى إسناده محمد بن عثمان مجهول الحال وشيخه زاذان لم يدرك علياً والله أعلم . وروى أبو داود من حديث ابن أبى زائدة عن أبيه عن الشعبى قال : قال رسول الله ﷺ « الوائدة والموءودة فى النار » ثم قال الشعبى حدثنى به علقمة عن أبى وائل عن ابن مسعود ، وقد رواه جماعة عن داود بن أبى هند عن الشعبى عن علقمة عن سلمة بن قيس الأشجعى قال : أتيت أنا وأخى النبى ﷺ فقلنا إن أمنا ماتت فى الجاهلية وكانت تقرى الضيف وتصل الرحم وإنها وأدت أختا لنا فى الجاهلية لم تبلغ الحنث فقال « الوائدة والموءودة فى النار إلا أن تدرك الوائدة الإسلام فتسلم » وهذا إسناد حسن

﴿ والقول الثالث ﴾ التوقف فيهم واعتمدوا على قوله صلى الله عليه وسلم « الله أعلم بما كانوا عاملين » وهو فى الصحيحين من حديث جعفر بن أبى إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين قال « الله أعلم بما كانوا عاملين » وكذلك هو فى الصحيحين من حديث الزهرى عن عطاء بن يزيد ، وعن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه سئل عن أطفال المشركين فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين » ومنهم من جعلهم من أهل الأعراف وهذا القول يرجع إلى قول من ذهب إلى أنهم من أهل الجنة لأن الأعراف ليس دار قرار ومآل أهلها إلى الجنة كما تقدم تقرير ذلك فى سورة الأعراف والله أعلم

﴿ فصل ﴾ وليعلم أن هذا الخلاف مخصوص بأطفال المشركين ، فأما ولدان المؤمنين فلا خلاف بين العلماء كما حكاه القاضى أبو يعلى بن الفراء الحنبلى عن الإمام أحمد أنه قال : لا يختلف فيهم أنهم من أهل الجنة وهذا هو المشهور بين الناس وهو الذى نقطع به إن شاء الله عز وجل . فأما ماذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر عن بعض العلماء أنهم توقفوا فى ذلك وأن الولدان كلهم تحت المشيئة ، قال أبو عمر ذهب إلى هذا القول جماعة من أهل الفقه والحديث منهم حماد بن زيد وحماد ابن سلمة وابن المبارك وإسحق بن راهويه وغيرهم قالوا وهو يشبه ما رسم مالك فى موطئه فى أبواب القدر وما أورده من الأحاديث فى ذلك ، وعلى ذلك أكثر أصحابه وليس عن مالك فيه شىء منصوص إلا أن المتأخرين من أصحابه ذهبوا إلى أن أطفال المسلمين فى الجنة وأطفال المشركين خاصة فى المشيئة انتهى كلامه وهو غريب جدا ، وقد ذكر أبو عبد الله القرطبى فى كتاب التذكرة نحو ذلك أيضا والله أعلم . وقد ذكروا فى ذلك أيضاً حديث عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت : دعى النبى صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبى من الأنصار فقلت يا رسول الله طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه ، فقال « أوغير ذلك يا عائشة ، إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم فى أصلاب آبائهم . وخلق النار وخلق لها أهلا وهم فى أصلاب آبائهم » رواه مسلم وأحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه .

ولما كان الكلام فى هذه المسئلة يحتاج إلى دلائل صحيحة جيدة وقد يتكلم فيها من لا علم عنده عن الشارع كره جماعة من العلماء الكلام فيها ، روى ذلك عن ابن عباس والقاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ومحمد بن الحنفية وغيرهم وأخرج ابن حبان فى صحيحه عن جرير بن حازم سمعت أبا رجاء العطاردى سمعت ابن عباس رضى الله عنهما وهو على المنبر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يزال أمر هذه الأمة مواتيا أو مقارباً مالم يتكلموا فى الولدان والقدر » قال ابن حبان يعنى أطفال المشركين ، وهكذا رواه أبو بكر البزار من طريق جرير بن حازم به ثم قال وقد رواه جماعة عن أبى رجاء عن ابن عباس موقوفا

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾

اختلف القراء فى قراءة قوله (أمرنا) فالمشهور قراءة التخفيف واختلف المفسرون فى معناها فقيل معناه أمرنا مترفيها ففسقوا فيها أمراً قدرياً كقوله تعالى (أتاها أمرنا ليلاً أو نهارا) إن الله لا يأمر بالفحشاء ، قالوا معناه أنه سخرهم إلى فعل الفواحش فاستحقوا العذاب ، وقيل معناه أمرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش فاستحقوا العقوبة رواه ابن جريج

عن ابن عباس وقاله سعيد بن جبير أيضاً ، وقال ابن جرير يحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء قلت إنما يجيء هذا على قراءة من قرأ (أمرنا مترفيها) قال علي بن طلحة عن ابن عباس قوله (أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) يقول سلطنا أشرارها فعصوا فيها فإذا فعلوا ذلك أهلكهم الله بالعذاب وهو قوله (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها) الآية وكذا قال أبو العالية ومجاهد والربيع بن أنس ، وقال العوفي عن ابن عباس (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) يقول أكثرنا عددهم وكذا قال عكرمة والحسن والضحاك وقتادة ، وعن مالك عن الزهري (أمرنا مترفيها) أكثرنا ، وقد استشهد بعضهم بالحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال : حدثنا روح بن عبادة حدثنا أبو نعيم العدوي عن مسلم بن بديل عن إياس ابن زهير عن سويد بن هبيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « خير مال امرئ له مهرة مأمورة أو سكة مأبورة » قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه الغريب المأمورة كثيرة النسل والسكة الطريقة المصطفة من النخل والمأبورة من التأبير ، وقال بعضهم إنما جاء هذا متناسباً كقوله : « مأزورات غير مأجورات »

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴾

يقول تعالى منذراً كفار قريش في تكذيبهم رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بأنه قد أهلك أمما من المكذبين للرسل من بعد نوح ودل هذا على أن القرون التي كانت بين آدم ونوح على الإسلام كما قاله ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام . ومعناه أنكم أيها المكذبون لستم أكرم على الله منهم وقد كذبتم أشرف الرسل وأكرم الخلائق فعقوبتكم أولى وأحرى . وقوله (وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيرا) أي هو عالم بجميع أعمالهم خيرها وشرها لا يخفى عليه منها خافية سبحانه وتعالى .

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾

يخبر تعالى أنه ما كل من طلب الدنيا وما فيها من النعيم يحصل له بل إنما يحصل لمن أراد الله وما يشاء وهذه مقيدة لاطلاق ما سواها من الآيات فإنه قال (عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم) أي في الدار الآخرة (يصلاها) أي يدخلها حق تغمره من جميع جوانبه (مذموما) أي في حال كونه مذموما على سوء تصرفه وصنيعه ، إذ اختار الفاني على الباقي (مدحوراً) مبعداً مقصيا حقيراً ذليلا مهانا . روى الإمام أحمد حدثنا حسين حدثنا زويد عن أبي إسحق عن زرعة عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له » وقوله (ومن أراد الآخرة) أي أراد الدار الآخرة وما فيها من النعيم والسرور (وسعى لها سعيها) أي طلب ذلك من طريقه وهو متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم (وهو مؤمن) أي قلبه مؤمن أي مصدق بالثوات والجزاء (فأولئك كان سعيهم مشكوراً)

﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا * انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾

يقول تعالى (كلا) أي كل واحد من الفريقين الذين أرادوا الدنيا والذين أرادوا الآخرة نمدهم فيما فيه (من عطاء ربك) أي هو المتصرف الحاكم الذي لا يجور فيعطي كلا ما يستحقه من السعادة والشقاوة فلا راد لحكمه ولا مانع لما أعطى ولا مغير لما أراد ولهذا قال (وما كان عطاء ربك محظوراً) أي لا يمنعه أحد ولا يرده راد . قال قتادة (وما كان عطاء ربك محظوراً) أي منقوصا ، وقال الحسن وغيره أي ممنوعا ثم قال تعالى (انظر كيف فضلنا

بعضهم على بعض) أى فى الدنيا فمنهم الغنى والفقير وبين ذلك ، والحسن والقبيح وبين ذلك ، ومن يموت صغيرا ، ومن يعمر حتى يبقى شيخا كبيرا ، وبين ذلك (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) أى ولتفاوتهم فى الدار الآخرة أكبر من الدنيا فان منهم من يكون فى الدركات فى جهنم وسلاسلها وأغلالها ، ومنهم من يكون فى الدرجات العلى ونعيمها وسرورها ، ثم أهل الدركات يتفاوتون فيما هم فيه كما أن أهل الدرجات يتفاوتون فان الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض وفى الصحيحين « إن أهل الدرجات العلى ليرون أهل عليين كما ترون الكوكب الغابر فى أفق السماء » ولهذا قال تعالى (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) وفى الطبرانى من رواية زاذان عن سلمان مرفوعا « ما من عبد يريد أن يرتفع فى الدنيا درجة فارتفع إلا وضعه الله فى الآخرة أكبر منها » ثم قرأ (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) .

﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾

يقول تعالى والمراد المكلفون من الأمة لا تجعل أيها المكلف فى عبادتك ربك له شريكا (فتقعد مذموما) أى على إشراكك به (مخذولا) لأن الرب تعالى لا ينصرك بل يكلك إلى الذى عبدت معه وهو لا يملك لك ضرا ولا نفعا لأن مالك الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا بشير بن سليمان عن سيار أبى الحكم عن طارق بن شهاب عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ، ومن أنزلها بالله أرسل الله له بالغنى إما آجلا وإما غنى عاجلا » ورواه أبو داود والترمذى من حديث بشير بن سلمان به ، وقال الترمذى حسن صحيح غريب

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾

يقول تعالى آمرا بعبادته وحده لا شريك له فان القضاء ههنا بمعنى الأمر ، قال مجاهد (وقضى) يعنى وصى ، وكذا قرأ أبى بن كعب وابن مسعود والضحاك بن مزاحم (ووصى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) ولهذا قرن بعبادته بر الوالدين فقال (وبالوالدين إحسانا) أى وأمر بالوالدين إحسانا كقوله فى الآية الأخرى (أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير) وقوله (إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف) أى لا تسمعهما قولا سيئا حتى ولا التأفيف الذى هو أدنى مراتب القول السيء (ولا تنهرهما) أى ولا يصدر منك إليهما فعل قبيح كما قال عطاء بن أبى رباح فى قوله (ولا تنهرهما) أى لا تنفض يدك عليهما ، ولما نهاه عن القول القبيح والفعل القبيح أمره بالقول الحسن والفعل الحسن فقال (وقل لهما قولا كريما) أى لينا طيبا حسنا بتأدب وتوقير وتعظيم (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) أى تواضع لهما بفعلك (وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً) أى فى كبرهما وعند وفاتهما ، قال ابن عباس ثم أنزل الله (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) الآيه وقد جاء فى بر الوالدين أحاديث كثيرة منها الحديث المروى من طرق عن أنس وغيره أن النبى ﷺ صعد المنبر ثم قال « آمين آمين آمين » قيل يا رسول الله علام ما أمنت ؟ قال « أتانى جبريل فقال يا محمد رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليك ، قل آمين ، فقلت آمين ، ثم قال رغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم خرج فلم يغفر له ، قل آمين فقلت آمين ، ثم قال رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة ، قل آمين ، فقلت آمين » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا هشيم حدثنا على بن زيد عن زرارة بن أوفى عن مالك بن الحارث عن رجل منهم أنه سمع النبى ﷺ يقول « من ضم يتيما من أبوين

مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يستغنى عنه وجبت له الجنة البتة ومن أعتق امرأ مسلماً كان فكاكه من النار يجزى بكل عضو منه عضوا منه » ثم قال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت على بن زيد فذكر معناه إلا أنه قال عن رجل من قومه يقال له مالك أو ابن مالك وزاد « ومن أدرك والديه أو أحدهما فدخل النار فأبعده الله »

(حديث آخر) وقال الإمام أحمد حدثنا عفان عن حماد بن سلمة حدثنا على بن زيد عن زرارة بن أوفى عن مالك بن عمرو القشيرى سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أعتق رقبة مسلمة فهى فداؤه من النار فان كل عظم من عظامه محررة بعظم من عظامه ، ومن أدرك أحد والديه ثم لم يغفرله فأبعده الله عز وجل ، ومن ضم يتيما من أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله وجبت له الجنة » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا حجاج ومحمد بن جعفر قالا حدثنا شعبة عن قتادة سمعت زرارة بن أوفى يحدث عن أبى مالك القشيرى قال : قال النبى ﷺ « من أدرك والديه أو أحدهما ثم دخل النار من بعد ذلك فأبعده الله وأسحقه » ورواه أبو داود الطيالسى عن شعبة به وفيه زيادات أخر (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال « رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف رجل أدرك أحد أبويه أو كلاهما عنده الكبر ولم يدخل الجنة » صحيح من هذا الوجه ولم يخرجوه سوى مسلم من حديث أبى عوانة وجرير وسليمان بن بلال عن سهيل به (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا ربعى بن إبراهيم قال أحمد وهو أخو إسماعيل ابن علية وكان يفضل على أخيه عن عبد الرحمن بن إسحق عن سعيد بن أبى سعيد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان فانسلخ فلم يغفرله ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة » قال ربعى لا أعلمه إلا قال « أو أحدهما » ورواه الترمذى عن أحمد بن إبراهيم الدورقى عن ربعى بن إبراهيم ثم قال غريب من هذا الوجه (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يونس حدثنا محمد حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل حدثنا أسيد بن على عن أبيه عن أبى عبيد عن أبى أسيد وهو مالك بن ربيعة الساعدى قال بينما أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من الأنصار فقال يارسول الله هل بقى على من برأبوى شىء بعد موتهما أبرهما به ، قال « نعم خصال أربع : الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التى لا رحم لك إلا من قبلهما فهو الذى بقى عليك من برهما بعد موتهما » ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن سليمان وهو ابن الغسيل به

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا ابن جريج أخبرنى محمد بن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن عن أبيه عن معاوية بن جاهمة السلمى أن جاهمة جاء إلى النبى ﷺ فقال يارسول الله أردت الغزو وجئتك أستشيرك فقال « فهل لك من أم » قال نعم قال « فالزمها فان الجنة عند رجليها » ثم الثانية ثم الثالثة فى مقاعد شتى كمثل هذا القول ، ورواه النسائى وابن ماجه من حديث ابن جريج به (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابن عياش عن يحيى بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معديكرب عن النبى ﷺ قال « إن الله يوصيكم بآبائكم إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب » وأخرجه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عياش به .

(حديث آخر) قال أحمد حدثنا يونس حدثنا أبو عوانة عن أشعث بن سليم عن أبيه عن رجل من بنى يربوع قال أتيت النبى ﷺ فسمعته وهو يكلم الناس يقول « يد المعطى العليا أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك »

(حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار فى مسنده حدثنا إبراهيم بن المستمر العروقى حدثنا عمرو بن سفيان حدثنا الحسن بن أبى جعفر عن ليث بن أبى سليم عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلا كان فى الطواف حاملا أمه يطوف بها فسأل النبى صلى الله عليه وسلم هل أديت حقها قال « لا ولا بزفرة واحدة » أو كما قال ثم قال البزار لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه . قلت والحسن بن أبى جعفر ضعيف والله أعلم

﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾

قال سعيد بن جبير هو الرجل تكون منه البادرة إلى أبويه وفى نيته وقلبه أنه لا يؤخذ به ، وفى رواية لا يريد إلا الخير بذلك فقال (ربكم أعلم بما فى نفوسكم إن تكونوا صالحين) وقوله (فإنه كان للأوابين غفوراً) قال قتادة للمطيعين أهل الصلاة ، وعن ابن عباس المسبحين وفى رواية عنه المطيعين المحسنين ، وقال بعضهم هم الذين يصلون بين العشاءين وقال بعضهم هم الذين يصلون الضحى ، وقال شعبة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب فى قوله (فإنه كان للأوابين غفوراً) قال الذين يصيبون الذنب ثم يتوبون ويصيبون الذنب ثم يتوبون ، وكذا رواه عبد الرزاق عن الثورى ومعمر عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب بنحوه وكذا رواه الليث وابن جرير عن ابن المسيب به وقال عطاء بن يسار وسعيد بن جبير ومجاهد هم الراجعون إلى الخير وقال مجاهد عن عبيد بن عمير فى الآية هو الذى إذا ذكر ذنوبه فى الخلاء فيستغفر الله منها ووافقه مجاهد فى ذلك ، وقال عبد الرزاق حدثنا محمد بن مسلمة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير فى قوله (فإنه كان للأوابين غفوراً) قال كنا نعد الأواب الحفيظ أن يقول اللهم اغفرلى ما أصبت فى مجلسى هذا . وقال ابن جرير والأولى فى ذلك قول من قال هو التائب من الذنب الرجاع من المعصية إلى الطاعة مما يكره الله إلى ما يحبه ويرضاه ، وهذا الذى قاله هو الصواب لأن الأواب مشتق من الأوب وهو الرجوع يقال آب فلان إذا رجع قال تعالى (إن إلينا إيابهم) وفى الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رجع من سفر قال « آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون »

﴿ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا * وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾

لما ذكر تعالى بر الوالدين عطف بذكر الإحسان إلى القرابة وصلة الأرحام ، وفى الحديث « أمك وأباك ثم أدناك أدناك » وفى رواية « ثم الأقرب فالأقرب » وفى الحديث « من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أجله فليصل رحمه » وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد بن يعقوب حدثنا أبو يحى التيمى حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبى سعيد قال لما نزلت (وآت ذا القربى حقه) دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فدك ثم قال لا نعلم حدث به عن فضيل بن مرزوق إلا أبو يحى التيمى وحميد بن حماد بن الخوار وهذا الحديث مشكل لو صح إسناده لأن الآية مكية وفدك إنما فتحت مع خيبر سنة سبع من الهجرة فكيف يلتئم هذا مع هذا ؟ فهو إذا حديث منكر والأشبه أنه من وضع الرافضة والله أعلم : وقد تقدم الكلام على المساكين وأبناء السبيل فى سورة براءة بما أغنى عن إعادته ههنا ، وقوله (ولا تبذر تبذيرا) لما أمر بالانفاق نهى عن الإسراف فيه بل يكون وسطا كما قال فى الآية الأخرى (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) الآية ثم قال منفرا عن التبذير والسرف (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) أى أشباههم فى ذلك . قال ابن مسعود التبذير الانفاق فى غير حق وكذا قال ابن عباس وقال مجاهد لو أنفق إنسان ماله كله فى الحق لم يكن مبذرا ولو أنفق مدا فى غير حق كان مبذرا . وقال قتادة: التبذير النفقة فى معصية الله تعالى وفى غير الحق والفساد . وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال أتى رجل من بنى تميم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إنى ذو مال كثير وذو أهل وولد وحاضرة فأخبرنى كيف أنفق وكيف أصنع ؟ فقال رسول الله ﷺ « تخرج الزكاة من مالك إن كان فانها طهرة تطهرك وتصل أقرباءك وتعرف حق السائل والجار والمسكين » فقال يارسول الله أقللى ؟ قال (فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) فقال حسبى يارسول الله إذا أديت الزكاة إلى رسولك فقد برئت منها إلى الله وإلى رسوله فقال رسول الله ﷺ

« نعم إذا أديتها إلى رسولى فقد برئت منها ولك أجرها ، وإثمها على من بدلها » وقوله (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) أى فى التبذير والسفه وترك طاعة الله وارتكاب معصيته ولهذا قال (وكان الشيطان لربه كفوراً) أى جحودا لأنه أنكر نعمة الله عليه ولم يعمل بطاعته بل أقبل على معصيته ومخالفته ، وقوله (وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك) الآية أى إذا سألك أقاربك ومن أمرناك باعطائهم وليس عندك شىء وأعرضت عنهم لفقد النفقة (فقل لهم قولا ميسوراً) أى عدهم وعدا بسهولة ولين إذا جاء رزق الله فسنصلكم إن شاء الله ، هكذا فسر قوله (فقل لهم قولا ميسوراً) بالوعد : مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغير واحد

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾

يقول تعالى آمراً بالاقتصاد فى العيش ذاما للبخل ناهياً عن السرف (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) أى لا تكن بخيلا منوعا لا تعطى أحدا شيئاً كما قالت اليهود عليهم لعائن الله يد الله مغلولة أى نسبوه إلى البخل تعالى وتقدس الكريم الوهاب وقوله (ولا تبسطها كل البسط) أى ولا تسرف فى الانفاق فتعطى فوق طاقتك وتخرج أكثر من دخلك فتقعد ملوما محسورا وهذا من باب اللف والنشر أى فتقعد إن بخلت ملوما يلومك الناس ويذمونك ويستغنون عنك كما قال زهير بن أبى سلمى فى المعلقة

ومن كان ذا مال فيبخل بماله * على قومه يستغن عنه ويذمم

ومتى بسطت يدك فوق طاقتك قعدت بلا شىء تنفقه فتكون كالحسير وهو الدابة التى قد عجزت عن السير فوقفت ضعفا وعجزا فانها تسمى الحسير وهو مأخوذ من الكلال كما قال (فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير) أى كليل عن أن يرى عيبا هكذا فسر هذه الآية بأن المراد هنا البخل والسرف : ابن عباس والحسن وقتادة وابن جريج وابن زيد وغيرهم ، وقد جاء فى الصحيحين من حديث أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه وتعفو أثره وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع » هذا لفظ البخارى فى الزكاة وفى الصحيحين من طريق هشام بن عروة عن زوجته فاطمة بنت المنذر عن جدتها أسماء بنت أبى بكر قالت : قال رسول الله ﷺ « انفقى هكذا وهكذا وهكذا ولا توعى فيوعى الله عليك ولا توكى فيوكى الله عليك » وفى لفظ « ولا تحصى فيحصى الله عليك » وفى صحيح مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله قال لى أنفق أنفق عليك » وفى الصحيحين من طريق معاوية ابن أبى مزرد عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان من السماء يقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا » وروى مسلم عن قتيبة عن إسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة مرفوعا « ما نقص مال من صدقة وما زاد الله عبدا أنفق إلا عزا ومن تواضع لله رفعه الله » وفى حديث أبى كثير عن عبد الله بن عمر مرفوعا « إياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا » وروى البيهقى من طريق سعدان بن نصر عن أبى معاوية عن الأعمش عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « ما يخرج رجل صدقة حتى يفك لحيى سبعين شيطانا »

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا سكين بن عبد العزيز حدثنا إبراهيم الهجرى عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما عال من اقتصد » وقوله (إن ربك يبسط الرزق

لمن يشاء ويقدر) إخبار أنه تعالى هو الرزاق القابض الباسط المتصرف في خلقه بما يشاء فيغنى من يشاء ويفقر من يشاء لما له في ذلك من الحكمة ولهذا قال (إنه كان بعباده خبيرا بصيرا) أى خبيرا بصيرا بمن يستحق الغنى ويستحق الفقر كما جاء في الحديث « إن من عبادى لمن لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه ، وإن من عبادى لمن لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه » وقد يكون الغنى فى حق بعض الناس استدراجا ، والفقر عقوبة عياذاً بالله من هذا وهذا

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾

هذه الآية الكريمة دالة على أن الله تعالى أرحم بعباده من الولد بولده لأنه نهى عن قتل الأولاد كما أوصى الآباء بالأولاد فى الميراث وكان أهل الجاهلية لا يورثون البنات بل كان أحدهم ربما قتل ابنته لئلا تكثر عيلته فنهى الله تعالى عن ذلك وقال (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق) أى خوف أن تفتقروا فى ثانى الحال ، ولهذا قدم الاهتمام برزقهم فقال (نحن نرزقهم وإياكم) وفى الأنعام (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) أى من فقر (نحن نرزقكم وإياهم) وقوله (إن قتلهم كان خطئاً كبيراً) أى ذنبا عظيما وقرأ بعضهم كان خطأ كبيرا وهو بمعناه ، وفى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قلت يا رسول الله أى الذنب أعظم ؟ قال « أن تجعل لله ندا وهو خلقك — قلت ثم أى ؟ — قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك — قلت ثم أى ؟ — قال أن تزانى بحليلة جارك »

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾

يقول تعالى ناهيا عباده عن الزنا وعن مقاربته ومخالطة أسبابه ودواعيه (ولا تقربو الزنا إنه كان فاحشة) أى ذنبا عظيما (وساء سبيلا) أى وبئس طريقا ومسلكا

وقد قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا جرير حدثنا سليم بن عامر عن أبى أمامة أن فتى شابا أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ائذن لى بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا : مه مه فقال « ادنه » فدنا منه قريبا فقال « اجلس » فجلس فقال « أتحبه لأمك » ؟ قال لا والله جعلنى الله فداك قال ولا الناس يحبونه لأمهاتهم قال « أفتحبه لابنتك ؟ » قال لا والله يا رسول الله جعلنى الله فداك قال ولا الناس يحبونه لبناتهم قال « أفتحبه لأختك ؟ » قال لا والله جعلنى الله فداك قال ولا الناس يحبونه لأخواتهم قال « أفتحبه لعمتك ؟ » قال لا والله جعلنى الله فداك قال ولا الناس يحبونه لعماتهم قال « أفتحبه لخالتك ؟ » قال لا والله جعلنى الله فداك قال ولا الناس يحبونه لخالاتهم قال فوضع يده عليه وقال « اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وأحصن فرجه » قال فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شىء . وقال ابن أبى الدنيا حدثنا عمار بن نصر حدثنا بقية عن أبى بكر بن أبى مريم عن الهيثم بن مالك الطائى عن النبى ﷺ قال « ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل فى رحم لا يحل له »

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾

يقول تعالى ناهياً عن قتل النفس بغير حق شرعى كما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا باحدى ثلاث : النفس بالنفس والزانى المحصن والتارك لدينه المفارق للجماعة » وفى السنن « لزوال الدنيا عند الله أهون من قتل مسلم » وقوله (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) أى سلطنة على القاتل فانه بالخيار فيه إن شاء قتله قودا وإن شاء عفا عنه على الدية وإن شاء عفا عنه مجانا كما ثبتت السنة بذلك. وقد أخذ الإمام الحبر ابن عباس من عموم هذه الآية الكريمة ولاية معاوية

السلطنة أنه سيملك لأنه كان ولى عثمان وقد قتل عثمان مظلوما رضى الله عنه وكان معاوية يطالب علياً رضى الله عنه أن يسلمه قتلته حتى يقتص منهم لأنه أموى وكان على رضى الله عنه يستمهله فى الأمر حتى يتمكن ويفعل ذلك ويطلب على من معاوية أن يسلمه الشام فيأبى معاوية ذلك حتى يسلمه القتلة وأبى أن يبايع علياً هو وأهل الشام ثم مع المطاولة تمكن معاوية وصار الأمر اليه كما قاله ابن عباس واستنبطه من هذه الآية الكريمة وهذا من الأمر العجب ، وقد روى ذلك الطبرانى فى معجمه حيث قال حدثنا يحى بن عبد الباقى حدثنا أبو عمير بن النحاس حدثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب عن مطر الوراق عن زهدم الجرمى قال : كنا فى ضمر ابن عباس فقال : إنى محدثكم بحديث ليس بسر ولا علانية إنه لما كان من أمر هذا الرجل ما كان يعنى عثمان قلت لعلى اعتزل فلو كنت فى جحر طلبت حتى تستخرج فعصانى ، وايم الله ليتأمرن عليكم معاوية وذلك أن الله يقول (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف فى القتل) الآية وليحملنكم قريش على سنة فارس والروم وليقيمن عليكم النصارى واليهود والمجوس ، فمن أخذ منكم يومئذ بما يعرف نجا ، ومن ترك وأنتم تاركون كنتم كقرن من القرون هلك فيمن هلك ، وقوله (فلا يسرف فى القتل) قالوا معناه فلا يسرف الولى فى قتل القاتل بأن يمثل به أو يقتص من غير القاتل ، وقوله (إنه كان منصورا) أى إن الولى منصور على القاتل شرعا وغالباً وقدرا

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا * وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾

يقول تعالى (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده) أى لا تتصرفوا فى مال اليتيم إلا بالغبطة (ولا تأكلوها[1] إسرافاً وبداراً أن يكبروا ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف) وقد جاء فى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى ذر « يا أبا ذر إنى أراك ضعيفا وإنى أحب لك ما أحب لنفسى لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم » وقوله (وأوفوا بالعهد) أى الذى تعاهدون عليه الناس والعقود التى تعاملونهم بها فإن العهد والعقد كل منهما يسأل صاحبه عنه (إن العهد كان مسئولا) أى عنه وقوله (وأوفوا الكيل إذا كلتم) أى من غير تطفيف ولا تبخسوا الناس أشياءهم (وزنوا بالقسطاس) قرئ بضم القاف وكسرها كالقرطاس وهو الميزان قال مجاهد هو العدل بالرومية وقوله (المستقيم) أى الذى لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا اضطراب (ذلك خير) أى لكم فى معاشكم ومعادكم ولهذا قال (وأحسن تأويلا) أى مآلا ومنقلبا فى آخرتكم . قال سعيد عن قتادة (ذلك خير وأحسن تأويلا) أى خير ثوابا وأحسن عاقبة . وابن عباس كان يقول يامعشر الموالى إنكم وليتم أمرين بهما هلك الناس قبلكم هذا المكيال وهذا الميزان ، قال وذكرلنا أن نبى الله عليه الصلاة والسلام كان يقول « لا يقدر رجل على جرام ثم يدعه ليس به إلا مخافة الله إلا أبدله الله به فى عاجل الدنيا قبل الآخرة ماهو خير له من ذلك »

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾

قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس يقول لا تقل ، وقال العوفى لاترم أحداً بما ليس لك به علم وقال محمد ابن الحنفية يعنى شهادة الزور ، وقال قتادة لاتقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله ، ومضمون ماذكروه أن الله تعالى نهى عن القول بلا علم بل بالظن الذى هو التوهم والخيال كما قال تعالى (اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم) وفى الحديث « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » وفى سنن أبى داود « بئس مطية الرجل زعموا » وفى الحديث الآخر « إن أفرى الفرى أن يرى الرجل عينيه مالم تريا » وفى الصحيح « من تحلم حلماً كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين وليس بفاعل » وقوله (كل أولئك) أى هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد (كان عنه مسئولا) أى سيسأل العبد عنها يوم القيامة وتسأل عنه وعما عمل فيها

(١) فى جميع النسخ: ولا تأكلوا أموالكم إسرافاً إلخ وهو غلط ، ربما كان سببه أن المصنف ذكر أولا آية ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ثم ذكر هذه فسقط من الناسخ آخر الآية الأولى وأول الثانية .

ويصح استعمال أولئك مكان تلك كما قال الشاعر :

ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الأيام

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا * كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾

يقول تعالى ناهياً عباده عن التجبر والتبختر فى المشية (ولا تمش فى الأرض مرحاً) أى متبخترا متمايلا مشى الجبارين (إنك لن تخرق الأرض) أى لن تقطع الأرض بمشيك قاله ابن جرير واستشهد عليه بقول رؤبة بن العجاج :

* وقاتم الأعماق خاوى المخترق *

وقوله (ولن تبلغ الجبال طولا) أى بتمايلك وفخرك وإعجابك بنفسك ، بل قد يجازى فاعل ذلك بنقيض قصده كما ثبت فى الصحيح « بينما رجل يمشى فيمن كان قبلكم وعليه بردان يتبختر فيهما إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » وكذلك أخبر الله تعالى عن قارون أنه خرج على قومه فى زينته وأن الله تعالى خسف به وبداره الأرض وفى الحديث « من تواضع لله رفعه الله فهو فى نفسه حقير وعند الناس كبير ، ومن استكبر وضعه الله فهو فى نفسه كبير وعند الناس حقير ، حتى لهو أبغض إليهم من الكلب والخنزير » وقال أبو بكر بن أبى الدنيا فى كتاب الخمول والتواضع : حدثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير حدثنا حجاج بن محمد عن أبى بكر الهذلى قال : بينما نحن مع الحسن إذ مر عليه ابن الأهيم يريد المنصور وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشى ويتبختر إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال : أف أف ، شامخ بأنفه ، ثانى عطفه ، مصعر خده ، ينظر فى عطفيه ، أى حميق ينظر فى عطفه فى نعم غير مشكورة ولا مذكورة ، غير المأخوذ بأمر الله فيها ، ولا المؤدى حق الله منها ، والله ان يمشى أحدهم طبيعته يتلجلج تلجلج المجنون فى كل عضو منه نعمة ، وللشيطان به لعنة فسمعه ابن الأهتم فرجع يعتذر إليه ، فقال لاتعتذر إلى وتب إلى ربك أما سمعت قول الله تعالى (ولا تمش فى الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) ورأى البخترى العابد رجلا من آل على يمشى وهو يخطر فى مشيته فقال له ياهذا : إن الذى أكرمك به لم تكن هذه مشيته قال فتركها الرجل بعد . ورأى ابن عمر رجلا يخطر فى مشيته فقال إن للشياطين إخوانا وقال خالد بن معدان : إياكم والخطر فان الرجل يده من سائر جسده رواهما ابن أبى الدنيا ، وقال ابن أبى الدنيا حدثنا خلف بن هشام البزار حدثنا حماد بن زيد عن يحيى عن سعيد عن محسن قال : قال رسول الله ﷺ « إذا مشت أمتى المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض » وقوله (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً) أما من قرأ سيئة أى فاحشة فمعناه عنده كل هذا الذى نهينا عنه من قوله (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق) إلى هنا فهو سيئة مؤاخذ عليها مكروهاً عند الله لايحبه ولا يرضاه ، وأما من قرأ سيئه على الاضافة فمعناه عنده كل هذا الذى ذكرناه من قوله (وقضى ربك أن لاتعبدوا إلا إياه) إلى هنا فسيئه أى قبيحه مكروه عند الله ، هكذا وجه ذلك ابن جرير رحمه الله

﴿ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴾

يقول تعالى هذا الذى أمرناك به من الأخلاق الجميلة ونهيناك عنه من الصفات الرذيلة مما أوحينا إليك يامحمد لتأمر به الناس (ولاتجعل مع الله إلها آخر فتلقى فى جهنم ملوما) أى تلومك نفسك ويلومك الله والخلق (مدحوراً) أى مبعداً من كل خير ، قال ابن عباس وقتادة مطروداً والمراد من هذا الخطاب الأمة بواسطة الرسول ﷺ فانه صلوات الله وسلامه عليه معصوم.

﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾

يقول تعالى رادا على المشركين الكاذبين الزاعمين عليهم لعائن الله ان الملائكة بنات الله فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ، ثم ادعوا أنهم بنات الله ثم عبدوهم فأخطأوا فى كل من المقامات الثلاث خطأ عظيما فقال تعالى منكرا عليهم (أفأصفاكم ربكم بالبنين) أى خصصكم بالذكور (واتخذ من الملائكة إناثاً) أى واختار لنفسه على زعمكم البنات ثم شدد الانكار عليهم فقال (إنكم لتقولون قولا عظيما) أى فى زعمكم أن لله ولدا ثم جعلكم ولده الاناث التى تأنفون أن يكن لكم وربما قتلتموهن بالوأد فتلك إذا قسمة ضيزى وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا * لقد جئتم شيئاً إداً * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً * أن دعوا للرحمن ولدا * وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا * إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا ، لقد أحصاهم وعدهم عدا * وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) .

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾

يقول تعالى (ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) أى صرفنا فيه من الوعيد لعلهم يذكرون ما فيه من الحجج والبينات والمواعظ فينزجروا عما هم فيه من الشرك والظلم والافك (وما يزيدهم) أى الظالمين منهم (إلا نفورا) أى عن الحق وبعداً منه .

﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا * سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الزاعمين أن لله شريكا من خلقه العابدين معه غيره ليقربهم إليه زلفا لو كان الأمر كما تقولون وأن معه آلهة تعبد لتقرب إليه وتشفع لديه لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقربون إليه ويبتغون إليه الوسيلة والقربة فاعبدوه أنتم وحده كما يعبده من تدعونه من دونه ولا حاجة لكم إلى معبود يكون واسطة بينكم وبينه فانه لا يحب ذلك ولا يرضاه بل يكرهه وينهاه وقد نهى عن ذلك على ألسنة جميع رسله وأنبيائه ثم نزه نفسه الكريمة وقدسها فقال (سبحانه وتعالى عما يقولون) أى هؤلاء المشركون المعتدون الظالمون فى زعمهم أن معه آلهة أخرى (علوا كبيرا) أى تعاليا كبيرا ، بل هو الله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحدا

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾

يقول تعالى تقدسه السموات السبع والأرض ومن فيهن أى من المخلوقات وتنزهه وتعظمه وتبجله وتكبره عما يقول هؤلاء المشركون وتشهد له بالوحدانية فى ربوبيته وإلهيته

فى كل شىء له آية * تدل على أنه واحد

كما قال تعالى (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا * أن دعوا للرحمن ولدا) وقال أبو القاسم الطبرانى حدثنا على بن عبد العزيز حدثنا سعيد بن منصور حدثنا سليمان بن ميمون مؤذن مسجد الرملة حدثنا عروة بن رويم عن عبد الرحمن بن قرط أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به إلى المسجد الأقصى كان بين المقام وزمزم ، جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فطار به حتى بلغ السموات السبع . فلما رجع قال « سمعت تسبيحاً فى السموات العلى مع تسبيح كثير سبحت السموات العلى ، من ذى المهابة مشفقات لدى العلو بما علا ، سبحان

العلى الأعلى سبحانه وتعالى » . وقوله (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) أى وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أى لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس لأنها بخلاف لغاتكم وهذا عام فى الحيوانات والجمادات والنباتات وهذا أشهر القولين كما ثبت فى صحيح البخارى عن ابن مسعود أنه قال كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل . وفى حديث أبى ذر أن النبى ﷺ أخذ فى يده حصيات فسمع لهن تسبيح كحنين النحل ، وكذا فى يد أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم وهو حديث مشهور فى المسانيد ، وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان عن سهل بن معاذ عن ابن أنس عن أبيه رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه دخل على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل فقال لهم « اركبوها سالمة ودعوها سالمة ، ولا تتخذوها كراسى لأحاديثكم فى الطرق والأسواق فرب مركوبة خير من راكبها وأكثر ذكرا لله منه » وفى سنن النسائى عن عبد الله بن عمرو قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفدع وقال « نقيقها تسبيح » وقال قتادة عن عبد الله بن أبى عن عبد الله بن عمرو أن الرجل إذا قال لا إله إلا الله فهى كلمة الإخلاص التى لا يقبل الله من أحد عملا حتى يقولها ، وإذا قال الحمد لله فهى كلمة الشكر التى لم يشكر الله عبد قط حتى يقولها ، وإذا قال الله أكبر فهى تملأ ما بين السماء والأرض ، وإذا قال سبحان الله فهى صلاة الخلائق التى لم يدع الله أحداً من خلقه إلا قرره بالصلاة والتسبيح . وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله قال أسلم عبدى واستسلم . وقال الإمام أحمد حدثنا ابن وهب حدثنا جرير حدثنا أبى سمعت مصعب بن زهير يحدث عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال أتى النبى ﷺ أعرابى عليه جبة من طيالسة مكفوفة بديباج : أو مزورة بديباج فقال إن صاحبكم هذا يريد أن يرفع كل راع بن راع ويضع كل رأس بن رأس فقام إليه النبى ﷺ مغضباً فأخذ بمجامع جبته فاجتذبه فقال « لا أرى عليك ثياب من يعقل » ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس فقال « إن نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه فقال إنى قاص عليكما الوصية آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك بالله والكبر ، وآمركما بلا إله إلا الله فان السموات والأرض وما فيهما لو وضعت فى كفة الميزان ووضعت لا إله إلا الله فى الكفة الأخرى كانت أرجح ولو أن السموات والأرض كانتا حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليهما لقصمتهما أو لفصمتهما ، وآمركما بسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء ورواه الإمام أحمد أيضاً عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن مصعب بن زهير به أطول من هذا وتفرد به ، وقال ابن جرير حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأودى حدثنا محمد بن يعلى عن موسى بن عبيدة عن زيد بن أسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه ؟ إن نوحا عليه السلام قال لابنه يا بنى آمرك أن تقول سبحان الله فانها صلاة الخلق وتسبيح الخلق وبها يرزق الخلق » قال الله تعالى (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) إسناده فيه ضعف فان الأودى ضعيف عند الأكثرين ، وقال عكرمة فى قوله تعالى (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) قال الاسطوانة تسبح والشجرة تسبح ـ الاسطوانة السارية ـ وقال بعض السلف : صرير الباب تسبيحه وخرير الماء تسبيحه قال الله تعالى (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) وقال سفيان الثورى عن منصور عن إبراهيم قال الطعام يسبح ويشهد لهذا القول آية السجدة فى الحج ، وقال آخرون إنما يسبح من كان فيه روح يعنون من حيوان ونبات قال قتادة فى قوله (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) قال كل شيء فيه روح يسبح من شجر أو شيء فيه ، وقال الحسن والضحاك فى قوله (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) قالا كل شيء فيه الروح

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن حميد حدثنا يحيى بن واضح وزيد بن حباب قالا حدثنا جرير أبو الخطاب قال كنا مع يزيد الرقاشى ومعه الحسن فى طعام فقدموا الخوان ، فقال يزيد الرقاشى يا أبا سعد يسبح هذا الخوان ؟ فقال كان يسبح مرة ـ قلت الخوان هو المائدة من الخشب ـ فكأن الحسن رحمه الله ذهب إلى أنه لما كان حيا فيه خضرة كان يسبح فلما قطع وصار خشبة يابسة انقطع تسبيحه وقد يستأنس لهذا القول بحديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال « إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان لا يستنزه من القول وأما الآخر فكان

يمشي بالنميمة » ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ثم غرز في كل قبر واحدة ثم قال « لعله يخفف عنهما مالم ييبسا » أخرجاه في الصحيحين قال بعض من تكلم على هذا الحديث من العلماء إنما قال مالم ييبسا لأنهما يسبحان مادام فيهما خضرة فإذا يبسا انقطع تسبيحهما والله أعلم وقوله (إنه كان حليما غفوراً) أي إنه لا يعاجل من عصاه بالعقوبة بل يؤجله وينظره فان استمر على كفره وعناده أخذه أخذ عزيز مقتدر كما جاء في الصحيحين « إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ رسول الله ﷺ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة) الآية وقال تعالى (وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة) الآية وقال (وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة) الآيتين ومن أقلع عما هو فيه من كفر أو عصيان ورجع إلى الله وتاب اليه تاب عليه كما قال تعالى (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله) الآية وقال ههنا (إنه كان حليما غفوراً) كما قال في آخر فاطر (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفوراً) إلى أن قال (ولو يؤاخذ الله الناس) إلى آخر السورة .

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا * وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ وإذا قرأت يا محمد على هؤلاء المشركين القرآن جعلنا بينك وبينهم حجابا مستوراً قال قتادة وابن زيد هو الأكنة على قلوبهم كما قال تعالى (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب) أي مانع حائل أن يصل الينا مما تقول شيء وقوله (حجابا مستوراً) بمعنى ساتر كميمون ومشئوم بمعنى يامن وشائم لأنه من يمنهم وقيل مستوراً عن الأبصار فلا تراه وهو مع ذلك حجاب بينهم وبين الهدى ومال إلى ترجيحه ابن جرير رحمه الله وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو موسى الهروي إسحق بن إبراهيم حدثنا سفيان عن الوليد بن كثير عن يزيد بن تدرس عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنها قالت لما نزلت (تبت يدا أبي لهب) جاءت العوراء أم جميل ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول: مذمما أتينا ـ أو أبينا ـ قال أبو موسى الشك مني، ودينه قلينا، وأمره عصينا. ورسول الله ﷺ جالس وأبو بكر إلى جنبه فقال أبو بكر رضي الله عنه لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك فقال « إنها لن تراني » وقرأ قرآنا اعتصم به منها (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) قال فجاءت حتى قامت على أبي بكر فلم تر النبي ﷺ فقالت يا أبا بكر بلغني أن صاحبك هجاني فقال أبو بكر لا ورب هذا البيت ما هجاك قال فانصرفت وهي تقول لقد علمت قريش أني بنت سيدها . وقوله (وجعلنا على قلوبهم أكنة) وهي جمع كنان الذي يغشى القلب (أن يفقهوه) أي لئلا يفهموا القرآن (وفي آذانهم وقراً) وهو الثقل الذي يمنعهم من سماع القرآن سماعا ينفعهم ويهتدون به. وقوله تعالى (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده) أي إذا وحدت الله في تلاوتك وقلت لا إله إلا الله (ولوا) أي أدبروا راجعين (على أدبارهم نفوراً) ونفور جمع نافر كقعود جمع قاعد ويجوز أن يكون مصدراً من غير الفعل والله أعلم كما قال تعالى (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) الآية قال قتادة في قوله (وإذا ذكرت ربك في القرآن) الآية ان المسلمين لما قالوا لا إله إلا الله أنكر ذلك المشركون وكبرت عليهم فضافها إبليس وجنوده فأبى الله إلا أن يمضيها ويعليها وينصرها ويظهرها على من ناوأها ، إنها كلمة من خاصم بها فلج ومن قاتل بها نصر إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة من المسلمين التي يقطعها الراكب في ليال قلائل ويسير الدهر في فئام من الناس لا يعرفونها ولا يقرون بها ﴿ قول آخر في الآية ﴾ روى ابن جرير حدثني الحسين بن محمد الذارع حدثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبي حدثنا عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس في قوله (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً) هم الشياطين وهذا غريب جدا في تفسيرها وإلا فالشياطين إذا قرئ القرآن أو نودي بالأذان أو ذكر الله انصرفوا

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا

مَّسْحُورًا * انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾

يخبر تعالى نبيه محمداً ﷺ بما يتناجى به رؤساء كفار قريش حين جاءوا يستمعون قراءته ﷺ سرا من قومهم بما قالوا من أنه رجل مسحور من السحر على المشهور أو من السحر وهو الرئة أى إن تتبعون إن اتبعتم محمدا إلا بشراً يأكل كما قال الشاعر :

فان تسألينا فيم نحن فاننا * عصافير من هذا الأنام المسحر

وقال الراجز: * يسحر بالطعام وبالشراب * أى يغذى وقد صوب هذا القول ابن جرير وفيه نظر لأنهم أرادوا ههنا أنه مسحور له رئى يأتيه بما استمعوه من الكلام الذى يتلوه ومنهم من قال شاعر ومنهم من قال كاهن ومنهم من قال مجنون ومنهم من قال ساحر ولهذا قال تعالى (انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) أى فلا يهتدون إلى الحق ولا يجدون اليه مخلصا ، قال محمد بن إسحق فى السيرة حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى أنه حدث أن أباسفيان بن حرب وأباجهل بن هشام والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى حليف بن زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلى بالليل فى بيته فأخذ كل واحد منهم مجلساً يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا حتى إذا جمعتهم الطريق تلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئا ، ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا وجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ماقال أول مرة ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض لانبرح حتى نتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما أصبح الأخنس ابن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أباسفيان بن حرب فى بيته فقال أخبرنى يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد قال يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف مايراد بها وسمعت أشياء ماعرفت معناها ولا مايراد بها قال الأخنس وأنا والذى حلفت به . قال ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال يا أبا الحكم مارأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال ماذا سمعت ؟ قال تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف : أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يأتيه الوحى من السماء فمتى ندرك هذه والله لانؤمن به أبدا ولا نصدقه . قال فقام عنه الأخنس وتركه .

﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا * يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الكفار المستبعدين وقوع المعاد القائلين استفهام إنكار منهم لذلك (أئذا كنا عظاما ورفاتاً) أى ترابا قاله مجاهد وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما غبارا (أئنا لمبعوثون خلقا جديداً) أى يوم القيامة بعدما بلينا وصرنا عدما لا نذكر كما أخبر عنهم فى الموضع الآخر (يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة * أئذا كنا عظاما نخرة * قالوا تلك إذا كرة خاسرة) وقوله تعالى (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه) الآيتين فأمر الله سبحانه رسول الله ﷺ أن يجيبهم فقال (قل كونوا حجارة أو حديدا) إذهما أشد امتناعا من العظام والرفات (أو خلقا مما يكبر فى صدوركم) قال ابن إسحق عن ابن أبى نجيح عن مجاهد سألت ابن عباس عن ذلك فقال : هو الموت وروى عطية عن ابن عمر أنه قال فى تفسير هذه الآية لو كنتم موتى لأحييتكم ، وكذا قال سعيد بن جبير وأبو صالح والحسن وقتادة

والضحاك وغيرهم ، ومعنى ذلك أنكم لوفرضتم أنكم لوصرتم إلى الموت الذى هو ضد الحياة لأحياكم الله إذا شاء فانه لايمتنع عليه شى إذا أراده

وقد ذكر ابن جرير ههنا حديثا « يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة أتعرفون هذا ؟ فيقولون نعم : ثم يقال يا أهل النار أتعرفون هذا ؟ فيقولون نعم ، فيذبح بين الجنة والنار ، ثم يقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت » وقال مجاهد (أوخلقاً مما يكبر فى صدوركم) يعنى السماء والأرض والجبال وفى رواية : ماشئتم فكونوا فسيعيدكم الله بعد موتكم ، وقد وقع فى التفسير المروى عن الإمام مالك عن الزهرى فى قوله (أو خلقاً مما يكبر فى صدوركم) قال النبى ﷺ قال مالك ويقولون هو الموت . وقوله تعالى (فسيقولون من يعيدنا) أى من يعيدنا إذا كنا حجارة أو حديداً أو خلقاً آخر شديداً (قل الذى فطركم أول مرة أى الذى خلقكم ولم تكونوا شيئاً مذكورا ثم صرتم بشرا تنتشرون فإنه قادر على إعادتكم ولو صرتم إلى أى حال (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) الآية وقوله تعالى (فسينغضون إليك رءوسهم) قال ابن عباس وقتادة يحركونها استهزاء وهذا الذى قالاه هو الذى تعرفه العرب من لغاتها لأن الانغاض هو التحرك من أسفل إلى أعلى أومن أعلى إلى أسفل ، ومنه قيل للظليم وهو ولد النعامة نغض لأنه إذا مشى عجل بمشيته وحرك رأسه ويقال نغضت سنه إذا تحركت وارتفعت من مبيتها . وقال الراجز: * ونغضت من هرم أسنانها *

وقوله (ويقولون متى هو) إخبار عنهم بالاستبعاد منهم لوقوع ذلك كما قال تعالى (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) وقال تعالى (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) وقوله (قل عسى أن يكون قريبا) أى احذروا ذلك فانه قريب إليكم سيأتيكم لامحالة فكل ماهو آت آت . وقوله تعالى (يوم يدعوكم) أى الرب تبارك وتعالى (إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) أى إذا أمركم بالخروج منها فانه لا يخالف ولا يمانع بل كما قال تعالى (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) (إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) وقوله (فإنما هى زجرة واحدة * فإذاهم بالساهرة) أى إنما هو أمر واحد بانتهار فإذا الناس قد خرجوا من باطن الأرض إلى ظاهرها كما قال تعالى (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) أى تقولون كلكم إجابة لأمره وطاعة لا رادته قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فتستجيبون بحمده أى بأمره وكذا قال ابن جريج . وقال قتادة بمعرفته وطاعته ، وقال بعضهم (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) أى وله الحمد فى كل حال . وقد جاء فى الحديث « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى قبورهم كأنى بأهل لا إله إلا الله يقومون من قبورهم ينفضون التراب عن رءوسهم يقولون لا إله إلا الله » وفى روايه يقولون (الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) وسيأتى فى سورة فاطر . وقوله تعالى (وتظنون) أى يوم تقومون من قبوركم (إن لبثتم) أى فى الدار الدنيا (إلا قيلا) وكقوله تعالى (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أوضحاها) وقال تعالى (يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا * يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا * نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما) وقال تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون) وقال تعالى (قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين ؟ قالوا لبثنا يوما أو بعض يوما فاسأل العادين ، قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون) .

﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾

يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا فى مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة فانهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم وأخرج الكلام إلى الفعال ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة فانه عدو لآدم وذريته من حين امتنع من السجود لآدم ، وعداوته ظاهرة بينة ولهذا نهى أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديدة فان الشيطان ينزع فى يده أى فربما أصابه بها .

وقال الإمام أحمد حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فانه لا يدرى أحدكم لعل الشيطان أن ينزع فى يده فيقع فى حفرة من النار» أخرجاه من حديث عبد الرزاق. وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد أنبأنا على بن زيد عن الحسن قال حدثنى رجل من بنى سليط قال أتيت النبى ﷺ وهو فى رفلة من الناس فسمعته يقول: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله التقوى ههنا» قال حماد وقال بيده إلى صدره «وما تواد رجلان فى الله ففرق بينهما إلا حدث يحدثه أحدهما والمحدث شر والمحدث شر والمحدث شر»

﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً * وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً ﴾

يقول تعالى (ربكم أعلم بكم) أيها الناس أى أعلم بمن يستحق منكم الهداية ومن لا يستحق (إن يشأ يرحمكم) بأن يوفقكم لطاعته والانابة إليه (أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك (يا محمد) عليهم وكيلا) أى إنما أرسلناك نذيراً فمن أطاعك دخل الجنة، ومن عصاك دخل النار. وقوله (وربك أعلم بمن فى السموات والأرض) أى بمراتبهم فى الطاعة والمعصية (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) وكما قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) وهذا لا ينافى ما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال «لا تفضلوا بين الأنبياء» فان المراد من ذلك هو التفضيل بمجرد التشهى والعصبية لا بمقتضى الدليل فإذا دل الدليل على شىء وجب اتباعه، ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء وأن أولى العزم منهم أفضلهم وهم الخمسة المذكورون نصا فى آيتين من القرآن فى سورة الأحزاب (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبرهيم وموسى وعيسى ابن مريم) وفى الشورى فى قوله (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبرهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) ولا خلاف أن محمداً ﷺ أفضلهم ثم بعده إبراهيم ثم موسى ثم عيسى عليهم السلام على المشهور وقد بسطناه بدلائله فى غير هذا الموضع والله الموفق وقوله تعالى (وآتينا داود زبورا) تنبيه على فضله وشرفه. قال البخارى حدثنا إسحق بن نصر أخبرنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فكان يقرؤه قبل أن يفرغ» يعنى القرآن

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً ﴾

يقول تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله (ادعوا الذين زعمتم من دونه) من الأصنام والأنداد فارغبوا إليهم (فإنهم (لا يملكون كشف الضر عنكم) أى بالكلية (ولا تحويلا) أى بأن يحولوه إلى غيركم والمعنى أن الذى يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له الذى له الخلق والأمر. قال العوفى عن ابن عباس فى قوله (قل ادعوا الذين زعمتم) الآية قال كان أهل الشرك يقولون نعبد الملائكة والمسيح وعزيرا وهم الذين يدعون يعنى فى الملائكة والمسيح وعزيرا وقوله تعالى (أولئك الذين يدعون) الآية روى البخارى من حديث سليمان بن مهران الأعمش عن إبراهيم عن أبى معمر عن عبد الله فى قوله (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) قال ناس من الجن كانوا يعبدون فأسلموا وفى رواية قال كان ناس من الإنس يعبدون ناسا من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم، وقال قتادة عن معبد ابن عبد الله الرمانى عن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن مسعود فى قوله (أولئك الذين يدعون) الآية قال نزلت فى نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فأسلم الجنيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم فنزلت

هذه الآية وفى رواية عن ابن مسعود كانوا يعبدون صنفا من الملائكة يقال لهم الجن فذكره وقال السدى عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) قال عيسى وأمه وعزير وقال مغيرة عن إبراهيم كان ابن عباس يقول: فى هذه الآية : هم عيسى وعزير والشمس والقمر ، وقال مجاهد عيسى والعزير والملائكة ، واختار ابن جرير قول ابن مسعود لقوله (يبتغون إلى ربهم الوسيلة) وهذا لا يعبر به عن الماضى فلا يدخل فيه عيسى والعزير والملائكة وقال والوسيلة هى القربة كما قال قتادة ولهذا قال (أيهم أقرب) وقوله تعالى (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء فالخوف ينكف عن المناهى وبالرجاء يكثر من الطاعات ، وقوله تعالى (إن عذاب ربك كان محذوراً) أى ينبغى أن يحذر منه ويخاف من وقوعه وحصوله عياذاً بالله منه

﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾

هذا إخبار من الله عز وجل بأنه قد حتم وقضى بما قد كتب عنده فى اللوح المحفوظ أنه ما من قرية إلا سيهلكها بأن يبيد أهلها جميعهم أو يعذبهم (عذابا شديداً) إما بقتل أو ابتلاء بما يشاء وإنما يكون ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم كما قال تعالى عن الأمم الماضين (وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم) وقال تعالى (فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً) وقال « وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله) الآيات .

﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾

قال سنيد عن حماد بن زيد عن أيوب عن سعيد بن جبير قال : قال المشركون يا محمد إنك تزعم أنه كان قبلك أنبياء فمنهم من سخرت له الريح ومنهم من كان يحيى الموتى فان سرك أن نؤمن بك ونصدقك فادع ربك أن يكون لنا الصفا ذهبا فأوحى الله اليه : إنى قد سمعت الذى قالوا فإن شئت أن نفعل الذى قالوا فان لم يؤمنوا نزل العذاب فانه ليس بعد نزول الآية مناظرة وإن شئت أن نستأنى بقومك استأنيت بهم . قال « يارب استأن بهم » وكذا قال قتادة وابن جريج وغيرهما ، وروى الإمام أحمد حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سأل أهل مكة النبى ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحى الجبال عنهم فيزرعوا فقيل له: إن شئت أن نستأنى بهم وإن شئت أن يأتيهم الذى سألوا فإن كفروا هلكوا كما أهلكت من كان قبلهم من الأمم. قال « لا ، بل استأن بهم » وأنزل الله تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) الآية ورواه النسائى من حديث جرير به. وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران بن حكيم عن ابن عباس قال: قالت قريش للنبى ﷺ ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك قال « وتفعلون ؟ » قالوا نعم قال فدعا فأتاه جبريل فقال إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً فمن كفر منهم بعد ذلك عذبته عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين وإن شئت فتحت لهم أبواب التوبة والرحمة فقال « بل باب التوبة والرحمة » وقال الحافظ أبو يعلى فى مسنده حدثنا محمد بن إسماعيل بن على الأنصارى حدثنا خلف بن تميم المصيصى عن عبد الجبار بن عمر الايلى عن عبد الله بن عطاء بن إبراهيم عن جدته أم عطاء مولاة الزبير بن العوام قالت : سمعت الزبير يقول لما نزلت (وأنذر عشيرتك الأقربين) صاح رسول الله ﷺ على أبى قبيس « يا آل عبد مناف إنى نذير » فجاءته قريش فحذرهم وأنذرهم فقالوا تزعم أنك نبى يوحى إليك وإن سليمان سخر له الريح والجبال وإن موسى سخر له البحر وإن عيسى كان يحيى الموتى فادع الله أن يسير عنا هذه الجبال ويفجر لنا الأرض أنهارا فنتخذ محارث فنزرع ونأكل وإلا فادع الله أن يحيى لنا موتانا لنكلمهم ويكلمونا وإلا فادع الله أن يصير لنا هذه الصخرة التى تحتك ذهبا فننحت منها وتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف فإنك تزعم أنك كهيئتهم . قال فبينا نحن حوله إذ نزل عليه الوحى

فلما سرى عنه قال « والذى نفسى بيده لقد أعطانى ماسألتم ولو شئت لكان ولكنه خيرى بين أن تدخلوا باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم وبين أن يكلكم إلى ما اخترتم لأنفسكم فتضلوا عن باب الرحمة فلا يؤمن منكم أحد فاخترت باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم وأخبرنى أنه إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم أنه يعذبكم عذابا لا يعذبه أحداً من العالمين » ونزلت (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) وقرأ ثلاث آيات ونزلت (ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى) الآية ولهذا قال تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات) أى نبعث الآيات ونأتى بها على ماسأل قومك منك فإنه سهل علينا يسير لدينا إلا أنه قد كذب بها الأولون بعد ماسألوها وجرت سنتنا فيهم وفى أمثالهم أنهم لا يؤخرون إن كذبوا بها بعد نزولها كما قال الله تعالى فى المائدة (قال الله إنى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين) وقال تعالى عن ثمود حين سألوا آية ناقة تخرج من صخرة عينوها فدعا صالح عليه السلام ربه فأخرج لهم منها ناقة على ماسألوا فلما ظلموا بها أى كفروا بمن خلقها وكذبوا رسوله وعقروها فقال (تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) ولهذا قال تعالى (وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها) أى دالة على وحدانية من خلقها وصدق رسوله الذى أجيب دعاؤه فيها (فظلموا بها) أى كفروا بها ومنعوها شربها وقتلوها فأبادهم الله عن آخرهم وانتقم منهم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر وقوله تعالى (وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً) قال قتادة إن الله تعالى يخوف الناس بما شاء من الآيات لعلهم يعتبرون ويذكرون ويرجعون، ذكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود رضى الله عنه فقال يا أيها الناس إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه ، وهكذا روى أن المدينة زلزلت على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرات فقال عمر أحدثتم والله لئن عادت لأفعلن ولأفعلن . وكذا قال رسول الله ﷺ فى الحديث المتفق عليه « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكن الله عز وجل يخوف بهما عباده فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره — ثم قال — يا أمة محمد والله ما أحد أغير من الله أن يزنى عبده أو تزنى أمته ، يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً »

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾

يقول تعالى لرسوله ﷺ محرضا له على إبلاغ رسالته ومخبرا له بأنه قد عصمه من الناس فانه القادر عليهم وهم فى قبضته وتحت قهره وغلبته . قال مجاهد وعروة بن الزبير والحسن وقتادة وغيرهم فى قوله (وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس) أى عصمك منهم وقوله (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) الآية قال البخارى حدثنا على بن عبدالله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) قال هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به (والشجرة الملعونة فى القرآن) شجرة الزقوم وكذا رواه أحمد وعبد الرزاق وغيرهما عن سفيان بن عيينة به وكذا رواه العوفى عن ابن عباس . وهكذا فسر ذلك بليلة الإسراء مجاهد وسعيد بن جبير والحسن ومسروق وإبراهيم وقتادة وعبد الرحمن بن زيد وغير واحد وقد تقدمت أحاديث الإسراء فى أول السورة مستقصاة ولله الحمد والمنة . وتقدم أن ناساً رجعوا عن دينهم بعدما كانوا على الحق لأنه لم تحمل قلوبهم وعقولهم ذلك فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وجعل الله ذلك ثباتا ويقينا لآخرين ولهذا قال (إلا فتنة) أى اختبارا وامتحانا ، وأما الشجرة الملعونة فهى شجرة الزقوم لما أخبرهم رسول الله ﷺ أنه رأى الجنة والنار ورأى شجرة الزقوم فكذبوا بذلك حتى قال أبو جهل عليه لعائن الله : هاتوا لنا تمرا وزبدا وجعل يأكل من هذا بهذا ويقول تزقموا فلا نعلم الزقوم غير هذا ، حكى ذلك ابن عباس ومسروق وأبو مالك والحسن

البصرى وغير واحد وكل من قال إنها ليلة الإسراء فسره كذلك بشجرة الزقوم وقيل المراد بالشجرة الملعونه بنو أمية وهو غريب ضعيف ، وقال ابن جرير حدثت عن محمد بن الحسن بن زبالة حدثنا عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد حدثنى أبى عن جدى قال رأى رسول الله ﷺ بنى فلان ينزون على منبره نزو القرود فساءه ذلك فما استجمع ضاحكا حتى مات قال وأنزل الله فى ذلك (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) الآية وهذا السند ضعيف جدا فان محمد بن الحسن بن زبالة متروك وشيخه أيضا ضعيف بالكلية ، ولهذا اختار ابن جرير أن المراد بذلك ليلة الإسراء وأن الشجرة الملعونة هى شجرة الزقوم قال لاجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك أى فى الرؤيا والشجرة وقوله (ونخوفهم) أى الكفار بالوعيد والعذاب والنكال (فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً) أى تماديا فيما هم فيه من الكفر والضلال وذلك من خذلان الله لهم

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا * قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

يذكر تبارك وتعالى عداوة إبليس لعنه الله لآدم وذريته وأنها عداوة قديمة منذ خلق آدم فانه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا كلهم إلا إبليس استكبر وأبى أن يسجد له افتخارا عليه واحتقارا له (قال أأسجد لمن خلقت طينا) كما قال فى الآية الأخرى (أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) وقال أيضا أرأيتك يقول للرب جراءة وكفرا والرب يحلم وينظر (قال أرأيتك هذا الذى كرمت على) الآية قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس يقول لأستولين على ذريته إلا قليلا وقال مجاهد لأحتوين وقال ابن زيد لأضلنهم وكلها متقاربة والمعنى أرأيتك هذا الذى شرفته وعظمته على لئن أنظرتنى لأضلن ذريته إلا قليلا منهم

﴿ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا * وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَٰلِ وَالْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾

لما سأل إبليس النظرة قال الله له (اذهب) فقد أنظرتك كما قال فى الآية الأخرى قال (فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم) ثم أوعده ومن اتبعه من ذرية آدم جهنم (قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم) أى على أعمالكم (جزاء موفورا) قال مجاهد وافرا ، وقال قتادة موفورا عليكم لا ينقص لكم منه . وقوله تعالى (واستفزز من استطعت منهم بصوتك) قيل هو الغناء قال مجاهد باللهو والغناء أى استخفهم بذلك وقال ابن عباس فى قوله (واستفزز من استطعت منهم بصوتك) قال كل داع دعا إلى معصية الله عزوجل ،وقال قتادة واختاره ابن جرير ، وقوله تعالى (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) يقول واحمل عليهم بجنودك خيالتهم ورجلتهم فإن الرجل جمع راجل كما أن الركب جمع راكب وصحب جمع صاحب ومعناه تسلط عليهم بكل ما تقدر عليه وهذا أمر قدرى كقوله تعالى (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا) أى تزعجهم إلى المعاصى إزعاجا وتسوقهم إليها سوقا وقال ابن عباس ومجاهد فى قوله (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) قال كل راكب وماش فى معصية الله وقال قتادة: إن له خيلا ورجالا من الجن والإنس وهم الذين يطيعونه، تقول العرب أجلب فلان على فلان إذا صاح عليه ومنه نهى فى المسابقة عن الجلب والجنب ومنه اشتقاق الجلبة وهى ارتفاع الأصوات ، وقوله تعالى (وشاركهم فى الأموال والأولاد) قال ابن عباس ومجاهد هو ما أمرهم به من انفاق الأموال فى معاصى الله تعالى، وقال عطاء: هو الربا ،وقال الحسن

هو جمعها من خبيث وإنفاقها فى حرام ، وكذا قال قتادة وقال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما أما مشاركته إياهم فى أموالهم فهو ما حرموه من أنعامهم يعنى من البحائر والسوائب ونحوها وكذا قال الضحاك وقتادة ، وقال ابن جرير والأولى أن يقال إن الآية تعم ذلك كله . وقوله (والأولاد) قال العوفى عن ابن عباس ومجاهد والضحاك يعنى أولاد الزنا ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس هو ما كانوا قتلوه من أولادهم سفها بغير علم . وقال قتادة عن الحسن البصرى قد والله شاركهم فى الأموال والأولاد مجسوا وهودوا ونصروا وصبغوا غير صبغة الإسلام وجزءوا من أموالهم جزءا للشيطان ، وكذا قال قتادة سواء ، وقال أبو صالح عن ابن عباس هو تسميتهم أولادهم عبد الحارث وعبد شمس وعبد فلان . قال ابن جرير وأولى الأقوال بالصواب أن يقال كل مولود ولدته أنثى عصى الله فيه بتسميته بما يكرهه الله أو بادخاله فى غير الدين الذى ارتضاه الله أو بالزنا بأمه أو بقتله أو وأده أو غير ذلك من الأمور التى يعصى الله بفعله به أو فيه فقد دخل فى مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك الولد له أومنه لأن الله لم يخصص بقوله (وشاركهم فى الأموال والأولاد) معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى فكل ما عصى الله فيه أوبه أوأطيع الشيطان فيه أوبه فهو مشاركة ، وهذا الذى قاله متجه وكل من السلف رحمهم الله فسر بعض المشاركة فقد ثبت فى صحيح مسلم عن عياض بن حماد أن رسول الله ﷺ قال « يقول الله عز وجل إنى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم » وفى الصحيحين أن رسول ﷺ قال « لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتى أهله قال باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فانه إن يقدر بينهما ولد فى ذلك لم يضره الشيطان أبدا » وقوله تعالى (وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) كما أخبر تعالى عن إبليس أنه يقول إذا حصحص الحق يوم يقضى بالحق (إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم) الآية وقوله تعالى (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) إخبار بتأييده تعالى عباده المؤمنين وحفظه إياهم وحراسته لهم من الشيطان الرجيم ولهذا قال تعالى (وكفى بربك وكيلا) أى حافظاً ومؤيدا ونصيرا ، وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن موسى ابن وردان عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن المؤمن لينضى شياطينه كما ينضى أحدكم بعيره فى السفر » ينضى أى يأخذ بناصيته ويقهره

﴿ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾

يخبر تعالى عن لطفه بخلقه فى تسخيره لعباده الفلك فى البحر وتسهيله لمصالح عباده لا بتغائهم من فضله فى التجارة من إقليم إلى إقليم ولهذا قال (إنه كان بكم رحيما) أى إنما فعل هذا بكم من فضله عليكم ورحمته بكم

﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴾

يخبر تبارك وتعالى أن الناس إذا مسهم ضر دعوه منيبين إليه مخلصين له الدين ولهذا قال تعالى (وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه) أى ذهب عن قلوبكم كل ماتعبدون غير الله تعالى كما اتفق لعكرمة بن أبى جهل لما ذهب فارا من رسول الله ﷺ حين فتح مكة فذهب هاربا فركب فى البحر ليدخل الحبشة فجاءتهم ريح عاصف فقال القوم بعضهم لبعض إنه لايغنى عنكم إلا أن تدعوا الله وحده فقال عكرمة فى نفسه والله إن كان لاينفع فى البحر غيره فانه لاينفع فى البرغيره اللهم لك على عهد لئن أخرجتنى منه لأذهبن فلأضعن يدى فى يد محمد فلأجدنه رءوفا رحيما ، فخرجوا من البحر فرجع إلى رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه رضى الله عنه وأرضاه . وقوله تعالى (فلما نجاكم إلى البر أعرضتم) أى نسيتم ما عرفتم من توحيده فى البحر وأعرضتم عن دعائه وحده لا شريك له (وكان الإنسان كفورا) أى سجيته هذا ينسى النعم ويجحدها إلا من عصم الله

﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴾

يقول تعالى أفحسبتم بخروجكم إلى البر أمنتم من انتقامه وعذابه أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا وهو المطر الذى فيه حجارة قاله مجاهد وغير واحد كما قال تعالى (إنا أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا) وقد قال فى الآية الأخرى (وأمطرنا عليهم حجارة من طين) وقال (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور * أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير) وقوله (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) أى ناصرا يرد ذلك عنكم وينقذكم منه

﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾

يقول تبارك وتعالى أم أمنتم أيها المعرضون عنا بعد ما اعترفوا بتوحيدنا فى البحر وخرجوا إلى البر أن يعيدكم فى البحر مرة ثانية فيرسل عليكم قاصفا من الريح أى يقصف الصوارى ويغرق المراكب قال ابن عباس وغيره القاصف ريح البحار التى تكسر المراكب وتغرقها وقوله (فيغرقكم بما كفرتم) أى بسبب كفركم وإعراضكم عن الله تعالى وقوله (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) قال ابن عباس: نصيرا وقال مجاهد: نصيراً ثائرا أى يأخذ بثاركم بعدكم. وقال قتادة ولا نخاف أحداً يتبعنا بشىء من ذلك

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

يخبر تعالى عن تشريفه لبنى آدم وتكريمه إياهم فى خلقة لهم على أحسن الهيئات وأكملها كقوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم) أن يمشى قائما منتصبا على رجليه ويأكل بيديه ، وغيره من الحيوانات يمشى على أربع ويأكل بفمه وجعل له سمعا وبصرا وفؤاداً يفقه بذلك كله وينتفع به ويفرق بين الأشياء ويعرف منافعها وخواصها ومضارها فى الأمور الدينية والدنيوية وحملناهم فى البر أى على الدواب من الأنعام والخيل والبغال وفى البحر أيضاً على السفن الكبار والصغار ورزقناهم من الطيبات أى من زروع وثمار ولحوم وألبان من سائر أنواع الطعوم والألوان المشتهاة اللذيذة والمناظر الحسنة والملابس الرفيعة من سائر الأنواع على اختلاف أصنافها وألوانها وأشكالها مما يصنعونه لأنفسهم ويجلبه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والنواحى وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلا أى من سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات ، وقد استدل بهذه الآية الكريمة على أفضلية جنس البشر على جنس الملائكة قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم قال : قالت الملائكة يا ربنا إنك أعطيت بنى آدم الدنيا يأكلون منها وينعمون ولم تعطنا ذلك فأعطنا الآخرة فقال الله تعالى : وعزتى وجلالى لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدى كمن قلت كن فكان . وهذا الحديث مرسل من هذا الوجه ، وقد روى من وجه آخر متصلا . وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا أحمد بن محمد بن صدقة البغدادى حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن خارجة المصيصى حدثنا حجاج بن محمد حدثنا محمد أبو غسان محمد بن مطرف عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال «إن الملائكة قالت يا ربنا أعطيت بنى آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون ويلبسون ونحن نسبح بحمدك ولا نأكل ولا نشرب ولا نلهو فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة قال لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدى كمن قلت له كن فكان» وقد روى ابن عساكر من طريق محمد بن أيوب الرازى حدثنا الحسن بن على بن خلف الصيدلانى حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنى عثمان بن حصن بن عبيدة بن علاق سمعت عروة بن رويم اللخمى حدثنى أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال « إن الملائكة قالوا ربنا خلقتنا وخلقت بنى آدم وجعلتهم يأكلون الطعام ويشربون الشراب

ويلبسون الثياب ويتزوجون النساء ويركبون الدواب، ينامون ويستريحون ولم تجعل لنا من ذلك شيئاً فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال الله عز وجل : لا أجعل من خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى كمن قلت له كن فكان» وقال الطبرانى حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا عمر بن سهل حدثنا عبد الله بن تمام عن خالد الحذاء عن بشر بن شغاف عن أبيه عن عبد الله ابن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « ماشىء أكرم على الله يوم القيامة من ابن آدم » قيل يا رسول الله ولا الملائكة قال « ولا الملائكة ، الملائكة محجورون بمنزلة الشمس والقمر » وهذا حديث غريب جداً

﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾

يخبر تبارك وتعالى عن يوم القيامة أنه يحاسب كل أمة بامامهم ، وقد اختلفوا فى ذلك فقال مجاهد وقتادة أى بنبيهم وهذا كقوله تعالى (ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط) الآية وقال بعض السلف هذا أكبر شرف لأصحاب الحديث لأن إمامهم النبى ﷺ وقال ابن زيد بكتابهم الذى أنزل على نبيهم من التشريع واختاره ابن جرير ، وروى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أنه قال بكتبهم فيحتمل أن يكون أراد هذا وأن يكون أراد ما رواه العوفى عن ابن عباس فى قوله (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم) أى بكتاب أعمالهم وكذا قال أبو العالية والحسن والضحاك وهذا القول هو الأرجح لقوله تعالى (وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين) وقال تعالى (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه) الآية ويحتمل أن المراد بإمامهم أى كل قوم بمن يأتمون به فأهل الإيمان ائتموا بالأنبياء عليهم السلام وأهل الكفر ائتموا بأئمتهم كما قال (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار) وفى الصحيحين « لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فيتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت » الحديث وقال تعالى (وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون * هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) وهذا لا ينافى أن يجاء بالنبى إذا حكم الله بين أمته فانه لابد أن يكون شاهدا على أمته بأعمالها كقوله تعالى (وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء) وقوله تعالى (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) ولكن المراد ههنا بالإمام هو كتاب الأعمال ولهذا قال تعالى (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم) أى من فرحته وسروره بما فيه من العمل الصالح يقرؤه ويحب قراءته كقوله (فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه — إلى قوله — وأما من أوتى كتابه بشماله) الآيات ، وقوله تعالى (ولا يظلمون فتيلا) قد تقدم أن الفتيل هو الخيط المستطيل فى شق النواة . وقد روى الحافظ أبو بكر البزار حديثاً فى هذا فقال: حدثنا محمد بن يعمر ومحمد بن عثمان بن كرامة قالا: حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن السدى عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ فى قول الله تعالى (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم) قال « يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له فى جسمه ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤة يتلألأ فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون اللهم أتنا بهذا ، وبارك لنا فى هذا فيأتيهم فيقول لهم أبشروا فإن لكل رجل منكم مثل هذا ، وأما الكافر فيسود وجهه ويمد له فى جسمه ويراه أصحابه فيقولون نعوذ بالله من هذا أو من شر هذا اللهم لا تأتنا به فيأتيهم فيقولون اللهم أخزه فيقول أبعدكم الله فان لكل رجل منكم مثل هذا » ثم قال البزار لا يروى إلا من هذا الوجه ، وقوله تعالى (ومن كان فى هذه أعمى) الآية ، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد (ومن كان فى هذه) أى فى الحياة الدنيا (أعمى) أى عن حجة الله وآياته وبيناته (فهو فى الآخرة أعمى)) أى كذلك يكون (وأضل سبيلا) أى وأضل منه كما كان فى الدنيا عياذاً بالله من ذلك

﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا

أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا * إذا لأذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ﴾

يخبر تعالى عن تأييده رسوله صلوات الله عليه وسلامه وتثبيته وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار وأنه تعالى هو المتولى أمره ونصره وأنه لا يكله إلى أحد من خلقه بل هو وليه وحافظه وناصره ومؤيده ومظفره ومظهر دينه على من عاداه وخالفه وناواه فى مشارق الأرض ومغاربها ﷺ تسليما كثيراً إلى يوم الدين

﴿ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلفك إلا قليلا سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا ﴾

قيل نزلت فى اليهود إذ أشاروا على رسول الله ﷺ بسكنى الشام بلاد الأنبياء وترك سكنى المدينة . وهذا القول ضعيف لأن هذه الآية مكية وسكنى المدينة بعد ذلك ، وقيل إنها نزلت بتبوك وفى صحته نظر . روى البيهقى عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار العطاردى عن يونس بن بكير عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم أن اليهود أتوا رسول الله ﷺ يوما فقالوا يا أبا القاسم إن كنت صادقا أنك نبى فالحق بالشام فان الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء فصدق ما قالوا فغزا غزوة تبوك لا يريد إلا الشام فلما بلغ تبوك أنزل الله عليه آيات من سورة بنى إسرائيل بعد ما ختمت السورة (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها — إلى قوله — تحويلا) فأمره الله بالرجوع إلى المدينة ، وقال : فيها محياك ومماتك ومنها تبعث . وفى هذا الإسناد نظر والأظهر أن هذا ليس بصحيح فان النبى ﷺ لم يغز تبوك عن قول اليهود وإنما غزاها امتثالا لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) ولقوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون) وغزاها ليقتص وينتقم ممن قتل أهل مؤتة من أصحابه والله أعلم ، ولو صح هذا لحمل عليه الحديث الذى رواه الوليد بن مسلم عن عقير بن معدان عن سليم بن عامر عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أنزل القرآن فى ثلاثة أمكنة مكة والمدينة والشام » قال الوليد يعنى بيت المقدس وتفسير الشام بتبوك أحسن مما قال الوليد إنه بيت المقدس والله أعلم . وقيل نزلت فى كفار قريش هموا بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم فتوعدهم الله بهذه الآية وأنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيراً ، وكذلك وقع فانه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم بعد ما اشتد أذاهم له إلا سنة ونصف حتى جمعهم الله وإياه ببدر على غير ميعاد فأمكنه منهم وسلطه عليهم وأظفره بهم فقتل أشرافهم وسبى ذراريهم ، ولهذا قال تعالى (سنة من قد أرسلنا) الآية أى هكذا عادتنا فى الذين كفروا برسلنا وآذوهم بخروج الرسول من بين أظهرهم يأتيهم العذاب ولولا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم رسول الرحمة لجاءهم من النقم فى الدنيا مالا قبل لأحد به ، ولهذا قال تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) الاية

﴿ أقم الصلوة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرءان الفجر إن قرءان الفجر كان مشهودا * ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾

يقول تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم آمراً له بإقامة الصلوات المكتوبات فى أوقاتها (أقم الصلاة لدلوك الشمس) قيل لغروبها قاله ابن مسعود ومجاهد وابن زيد وقال هشيم عن مغيرة عن الشعبى عن ابن عباس: دلوكها زوالها

ورواه نافع عن ابن عمر ورواه مالك فى تفسيره عن الزهرى عن ابن عمر وقاله أبو برزة الأسلمى وهو رواية أيضاً عن ابن مسعود ومجاهد وبه قال الحسن والضحاك وأبو جعفر الباقر وقتادة ، واختاره ابن جرير ومما استشهد عليه ما رواه عن ابن حميد عن الحكم بن بشير حدثنا عمرو بن قيس عن ابن أبى ليلى عن رجل عن جابر بن عبد الله قال دعوت رسول الله ﷺ ومن شاء من أصحابه فطعموا عندى ثم خرجوا حين زالت الشمس فخرج النبى ﷺ فقال « اخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس » ثم رواه عن سهل بن بكار عن أبى عوانة عن الأسود بن قيس عن نبيح العنزى عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه فعلى هذا تكون هذه الآية دخل فيها أوقات الصلوات الخمس فمن قوله (لدلوك الشمس إلى غسق الليل) وهو ظلامه وقيل غروب الشمس أخذ منه الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقوله (وقرآن الفجر) يعنى صلاة الفجر ، وقد ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ تواترا من أفعاله وأقواله بتفاصيل هذه الأوقات على ما عليه أهل الإسلام اليوم مما تلقوه خلفا عن سلف وقرنا بعد قرن كما هو مقرر فى مواضعه ولله الحمد (إن قرءان الفجر كان مشهوداً) قال الأعمش عن إبراهيم عن ابن مسعود وعن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنهما عن النبى ﷺ فى هذه الآية (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً) قال تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار . وقال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهرى عن أبى سلمة وسعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال « فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة ، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الفجر » يقول أبو هريرة اقرءوا إن شئتم (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً)

وقال الإمام أحمد حدثنا أسباط حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم وحدثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى ﷺ فى قوله (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً قال « تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار » ورواه الترمذى والنسائى وابن ماجه ثلاثتهم عن عبيد بن أسباط ابن محمد عن أبيه به وقال الترمذى حسن صحيح . وفى لفظ فى الصحيحين من طريق مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الصبح وفى صلاة العصر ، فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون» وقال عبد الله بن مسعود يجتمع الحرسان فى صلاة الفجر فيصعد هؤلاء ويقيم هؤلاء . وكذا قال إبراهيم النخعى ومجاهد وقتادة وغير واحد فى تفسير هذه الآية . وأما الحديث الذى رواه ابن جرير ههنا من حديث الليث بن سعد عن زيادة عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة بن عبيد عن أبى الدرداء عن رسول الله ﷺ فذكر حديث النزول وأنه تعالى يقول : من يستغفرنى أغفر له ، من يسألنى أعطيه ، من يدعنى فأستجيب له حتى يطلع الفجر. فلذلك يقول (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً) فيشهده الله وملائكة الليل وملائكة النهار فانه تفرد به زيادة ، وله بهذا حديث فى سنن أبى داود. وقوله تعالى (ومن الليل فتجهد به نافلة لك) أمر له بقيام الليل بعد المكتوبة كما ورد فى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أنه سئل أى الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ قال « صلاة الليل » ولهذا أمر تعالى رسوله بعد المكتوبات بقيام الليل فإن التهجد ما كان بعد نوم . قاله علقمة والأسود وإبراهيم النخعى وغير واحد وهو المعروف فى لغة العرب ، وكذلك ثبتت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتهجد بعد نومه عن ابن عباس وعائشة وغير واحد من الصحابة رضى الله عنهم كما هو مبسوط فى موضعه ولله الحمد والمنة ، وقال الحسن البصرى هو ما كان بعد العشاء ويحمل على ما كان بعد النوم واختلف فى معنى قوله تعالى (نافلة لك) فقيل معناه أنك مخصوص بوجوب ذلك وحدك فجعلوا قيام الليل واجباً فى حقه دون الأمة رواه العوفى عن ابن عباس وهو أحد قولى العلماء وأحد قولى الشافعى رحمه الله واختاره ابن جرير ، وقيل إنما جعل قيام الليل فى حقه نافلة على الخصوص لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

وغيره من أمته إنما يكفر عنه صلواته النوافل الذنوب التي عليه . قال مجاهد وهو في المسند عن أبي أمامة الباهلي رضيَ الله عنه . وقوله (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) أي افعل هذا الذي أمرتك به لتقيمك يوم القيامة مقاما محمودا يحمدك فيه الخلائق كلهم وخالقهم تبارك وتعالى . قال ابن جرير قال أكثر أهل التأويل ذلك هو المقام الذي يقومه محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ماهم فيه من شدة ذلك اليوم ﴿ ذكر من قال ذلك ﴾ حدثنا ابن بشار حدثنا عبدالرحمن حدثنا سفيان عن أبي إسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة قال : يجمع الناس في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا قياما لاتكلم نفس إلا بإذنه ينادي يامحمد فيقول « لبيك وسعديك ، والخير في يديك ، والشر ليس إليك ، والمهدي من هديت ، وعبدك بين يديك ، ومنك وإليك لامنجى ولاملجأ منك إلا إليك ، تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت » فهذا المقام المحمود الذي ذكره الله عز وجل ، ثم رواه عن بندار عن غندر عن شعبة عن أبي إسحق به ، وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر والثوري عن أبي إسحق به ، وقال ابن عباس هذا المقام المحمود مقام الشفاعة ، وكذا قال ابن أبي نجيح عن مجاهد وقاله الحسن البصري ، وقال قتادة هو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة وأول شافع ، وكان أهل العلم يرون أنه المقام المحمود الذي قال الله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) قلت لرسول الله ﷺ تشريفات يوم القيامة لايشركه فيها أحد ، وتشريفات لا يساويه فيها أحد فهو أول من تنشق عنه الأرض ويبعث راكبا إلى المحشر وله اللواء الذي آدم فمن دونه تحت لوائه ، وله الحوض الذي ليس في الموقف أكثر واردا منه ، وله الشفاعة العظمى عند الله ليأتي لفصل القضاء بين الخلائق وذلك بعد ماتسأل الناس آدم ثم نوحا ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى فكل يقول لست لها حتى يأتوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول « أنالها أنالها » كما سنذكر ذلك مفصلا في هذا الموضع إن شاء الله تعالى ، ومن ذلك أنه يشفع في أقوام قد أمر بهم إلى النار فيردون عنها وهو أول الأنبياء يقضي بين أمته وأولهم إجازة على الصراط بأمته وهو أول شفيع في الجنة كما ثبت في صحيح مسلم . وفي حديث الصور أن المؤمنين كلهم لايدخلون الجنة إلا بشفاعته وهو أول داخل إليها وأمته قبل الأمم كلهم ، ويشفع في رفع درجات أقوام لاتبلغها أعمالهم وهو صاحب الوسيلة التي هي أعلى منزلة في الجنة لاتليق إلا له وإذا أذن الله تعالى في الشفاعة للعصاة شفع الملائكة والنبيون والمؤمنون فيشفع هو في خلائق لايعلم عدتهم إلا الله تعالى ولايشفع أحد مثله ولا يساويه في ذلك ، وقد بسطت ذلك مستقصى في آخر كتاب السيرة في باب الخصائص ولله الحمد والمنة ولنذكر الآن الأحاديث الوارد في المقام المحمود وبالله المستعان . قال البخاري حدثنا اسماعيل بن أبان حدثنا أبو الأحوص عن آدم بن علي سمعت ابن عمر يقول إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاء كل أمة تتبع نبيها يقولون : يافلان اشفع يافلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى محمد ﷺ فذلك يوم يبعثه الله مقاما محمودا . ورواه حمزة بن عبد الله عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال ابن جرير حدثني محمد بن عبد الله ابن عبد الحكم حدثنا شعيب بن الليث ثنا الليث عن عبيدالله بن أبي جعفر أنه قال سمعت حمزة بن عبد الله بن عمر يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ « إن الشمس لتدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم فيقول لست بصاحب ذلك ، ثم بموسى فيقول كذلك ، ثم بمحمد ﷺ فيشفع بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة باب الجنة فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا . وهكذا رواه البخاري في الزكاة عن يحيى بن بكير وعلقمة عن عبد الله بن صالح كلاهما عن الليث بن سعد به . وزاد فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم . قال البخاري وحدثنا علي بن عياش حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته . حلت له شفاعتي يوم القيامة » انفرد به دون مسلم ﴿ حديث أبي بن كعب ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر الأزدي حدثنا زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان يوم القيامة كنت إمام الأنبياء وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر » وأخرجه الترمذي من حديث أبي

عامر عبدالملك بن عمرو العقدى وقال حسن صحيح وابن ماجه من حديث عبدالله بن محمد بن عقيل به، وقد قدمنا فى حديث أبى بن كعب فى قراءة القرآن على سبعة أحرف ، قال ﷺ فى آخره « فقلت اللهم اغفر لأمتى اللهم اغفر لأمتى وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى فيه الخلق حتى إبراهيم عليه السلام » ﴿حديث أنس بن مالك﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا سعيد بن أبى عروبة حدثنا قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال « يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيلهمون ذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فأراحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شىء فاشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا . فيقول لهم آدم لست هناكم ويذكر ذنبه الذى أصاب فيستحيى ربه عز وجل من ذلك ويقول ولكن ائتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئة سؤاله ربه ماليس له به علم فيستحيى ربه من ذلك ويقول ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن . فيأتونه فيقول لست هناكم ولكن ائتوا موسى عبدا كلمه الله وأعطاه التوراة فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر لهم النفس التى قتل بغير نفس فيستحى ربه من ذلك ويقول ولكن ائتوا عيسى عبدالله ورسوله وكلمته وروحه فيأتون عيسى فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتونى ـ قال الحسن هذا الحرف ـ فأقوم فأمشى بين سماطين من المؤمنين ـ قال أنس ـ حتى استأذن على ربى فإذا رأيت ربى وقعت له ـ أو خررت ـ ساجدا لربى فيدعنى ماشاء الله أن يدعنى ـ قال ـ ثم يقال ارفع محمد قل يسمع واشفع تشفع ، وسل تعطه فأرفع رأسى فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحدلى حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود اليه الثانية فإذا رأيت ربى وقعت له ـ أو خررت ـ ساجدا لربى فيدعنى ماشاء الله أن يدعنى ثم يقال ارفع محمد قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسى فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحدلى حدا فأدخلهم الجنة قال ، ثم أعود الثالثة فاذا رأيت ربى وقعت ـ أو خررت ـ ساجداً لربى فيدعنى ماشاء الله أن يدعنى ثم يقال ارفع محمد قل يسمع وسل تعطه ، واشفع تشفع فأرفع رأسى فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحدلى حدا فأدخلهم الجنة ، ثم أعود الرابعة فأقول يارب مابقى إلا من حبسه القرآن » فحدثنا أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال « فيخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان فى قلبه من الخير مايزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان فى قلبه من الخير مايزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان فى قلبه من الخير مايزن ذرة » أخرجاه من حديث سعيد به ، وهكذا رواه الإمام أحمد عن عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بطوله . وقال الإمام أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا حرب بن ميمون أبو الخطاب الأنصارى عن النضر ابن أنس عن أنس قال حدثنى نبى الله ﷺ قال « إنى لقائم أنتظر أمتى تعبر الصراط إذ جاءنى عيسى عليه السلام فقال هذه الأنبياء قد جاءتك يامحمد يسألون ـ أو قال يجتمعون إليك ـ ويدعون الله أن يفرق بين جميع الأمم إلى حيث يشاء الله لغم ماهم فيه فالخلق ملجمون بالعرق ، فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة وأما الكافر فيغشاه الموت فقال انتظر حتى أرجع إليك فذهب نبى الله ﷺ فقام تحت العرش فلقى مالم يلق ملك مصطفى ولا نبى مرسل فأوحى الله عز وجل إلى جبريل أن اذهب إلى محمد وقل له ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع فشفعت فى أمتى أن أخرج من كل تسعة وتسعين إنسانا واحدا فما زلت أتردد إلى ربى عز وجل فلا أقوم منه مقاما إلا شفعت حتى أعطانى الله عز وجل من ذلك أن قال يامحمد أدخل من أمتك من خلق الله عز وجل من شهد أن لا إله إلا الله يوما واحدا مخلصاً ومات على ذلك » ﴿ حديث بريدة رضى الله عنه ﴾ قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا الأسود بن عامر أخبرنا أبو إسرائيل عن الحارث بن حضيرة عن ابن بريدة عن أبيه أنه دخل على معاوية فإذا رجل يتكلم فقال بريدة يامعاوية تأذن لى فى الكلام ؟ فقال نعم وهو يرى أنه سيتكلم بمثل ماقال الآخر فقال بريدة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنى لأرجو أن أشفع يوم القيامة عدد ماعلى الأرض من شجرة ومدرة » قال فترجوها أنت يامعاوية ولا يرجوها على رضى الله عنه ﴿حديث ابن مسعود﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عارم بن الفضل حدثنا سعيد بن الفضل حدثنا سعيد بن زيد حدثنا على ابن الحكم البنانى عن عثمان عن إبراهيم عن علقمة والأسود عن ابن مسعود قال : جاء ابنا مليكة إلى النبى ﷺ

فقالا: إن أمنا تكرم الزوج وتعطف على الولد ، قال وذكر الضيف غير أنها كانت وأدت فى الجاهلية ، فقال « أمكما فى النار » قال فأدبرا والسوء يرى فى وجوههما فأمر بهما فردا فرجعا والسرور يرى فى وجوههما رجاء أن يكون قد حدث شىء فقال « أمى مع أمكما) فقال رجل من المنافقين وما يغنى هذا عن أمه شيئا ونحن نطأ عقبيه . فقال رجل من الأنصار ولم أر رجلا قط أكثر سؤالا منه يا رسول الله هل وعدك ربك فيها أوفيهما . قال فظن أنه من شىء قد سمعه فقال « ما شاء الله ربى وما أطمعنى فيه وإنى لأقوم المقام المحمود يوم القيامة » فقال الأنصارى يا رسول الله وما ذاك المقام المحمود ؟ قال ذاك إذا جىء بكم حفاة عراة غرلا فيكون أول من يكسى إبراهيم عليه السلام فيقول اكسوا خليلى فيؤتى بريطتين بيضاوين فيلبسهما ثم يقعده مستقبل العرش ثم أوتى بكسوتى فألبسها فأقوم عن يمينه مقاما لا يقومه أحد فيغبطنى فيه الأولون والآخرون » قال ويفتح لهم من الكوثر إلى الحوض فقال المنافق إنه ماجرى ماء قط إلا على حال أو رضراض فقال رسول الله ﷺ « حاله المسك ورضراره اللؤلؤ » فقال المنافق لم أسمع كاليوم فانه قلما جرى ماء على حال أو رضراض إلا كان له نبت ؟ فقال الأنصارى يارسول الله هل له نبت ؟ فقال: « نعم قنسبان الذهب » قال المنافق لم أسمع كاليوم فإنه قلما ينبت قضيب إلا أورق وإلا كان له ثمر قال الأنصارى يا رسول الله هل له ثمرة قال « نعم ألوان الجوهر وماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل من شرب منه شربة لا يظمأ بعده ومن حرمه لم يرو بعده » وقال أبو داود الطيالسى حدثنا يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن أبى الزعراء عن عبد الله قال : ثم يأذن الله عز وجل فى الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل ثم يقوم إبراهيم خليل الله ثم يقوم عيسى أو موسى قال أبو الزعراء لا أدرى أيهما قال : ثم يقوم نبيكم ﷺ رابعا فيشفع لا يشفع أحد بعده أكثر مما شفع وهو المقام المحمود الذى قال الله عز وجل (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا)

﴿ حديث كعب بن مالك رضى الله عنه ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا محمد بن حرب حدثنا الزبيدى عن الزهرى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال « يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتى على تل ويكسونى ربى عز وجل حلة خضراء ثم يؤذن لى فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود » ﴿ حديث أبى الدرداء رضى الله عنه ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد بن أبى حبيب عن عبد الرحمن بن جبير عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه فأنظر إلى ما بين يدى فأعرف أمتى من بين الأمم ومن خلفى مثل ذلك وعن يمينى مثل ذلك وعن شمالى مثل ذلك » فقال رجل يا رسول الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك ؟ قال « هم غر محجلون من أثر الوضوء ليس أحد كذلك غيرهم وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم تسعى من بين أيديهم ذريتهم »

﴿ حديث أبى هريرة رضى الله عنه ﴾ قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا أبو حيان حدثنا أبو زرعة بن عمرو بن جرير عن أبى هريرة رضى الله عنه قال أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال « أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذاك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون ما أنتم فيه مما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم فيأتون آدم عليه السلام فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول آدم إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد نهانى عن الشجرة فعصيت نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول نوح إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن

يغضب بعده مثله قط وإنه قد كانت لى دعوة دعوتها على قومى نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى إبراهيم. فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله فذكر كذباته نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى موسى ، فيأتون موسى عليه السلام فيقولون يا موسى أنت رسول الله اصطفاك الله برسالاته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها نفسى نفسى نفسى. اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس فى المهد صبياً فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسى إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى محمد ﷺ ، فيأتون محمداً صلى الله عليه وسلم فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فأقوم فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى عز وجل ثم يفتح الله على ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه مالم يفتحه على أحد قبلى ، فيقال يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع . فأرفع رأسى فأقول أمتى يا رب أمتى يارب ؟ فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، ثم قال والذى نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى ، أخرجاه فى الصحيحين. وقال مسلم رحمه الله حدثنا الحكم بن موسى حدثنا هقل بن زياد عن الأوزاعى حدثنى أبو عمار حدثنى عبد الله بن فروخ حدثنى أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر يوم القيامة وأول شافع وأول مشفع » وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن داود بن يزيد الزعافرى عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) سئل عنها فقال « هى الشفاعة » رواه الإمام أحمد عن وكيع عن محمد بن عبيد عن داود عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) قال « هو المقام الذى أشفع لأمتى فيه » وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن على بن الحسين قال : قال رسول الله ﷺ « إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه ـ قال النبى صلى الله عليه وسلم ـ فأكون أول من يدعى وجبريل عن يمين الرحمن تبارك وتعالى والله ما رآه قبلها ، فأقول أى رب إن هذا أخبرنى أنك أرسلته إلى فيقول الله عز وجل صدق ثم أشفع فأقول يا رب عبادك عبدوك فى أطراف الأرض قال فهو المقام المحمود » وهذا حديث مرسل

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا * وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا جرير عن قابوس بن أبى ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال كان النبى ﷺ بمكة ثم أمر بالهجرة فأنزل الله (وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً) وقال الترمذى حسن صحيح ، وقال الحسن البصرى فى تفسير هذه الآية : إن كفار أهل مكة لما ائتمروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أو يطردوه أو يوثقوه فأراد الله قتال أهل مكة أمره أن يخرج إلى المدينة فهو الذى قال الله عز وجل (وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق) الآية، وقال قتادة (وقل رب أدخلنى مدخل صدق)

يعنى المدينة (وأخرجنى مخرج صدق) يعنى مكة ، وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهذا القول هو أشهر الأقوال وقال العوفى عن ابن عباس (أدخلنى مدخل صدق) يعنى الموت (وأخرجنى مخرج صدق) يعنى الحياة بعد الموت ، وقيل غير ذلك من الأقوال والأول أصح وهو اختيار ابن جرير . وقوله (واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً) قال الحسن البصرى فى تفسيرها وعده ربه لينزع عن ملك فارس وعز فارس وليجعلنه له ، وملك الروم وعز الروم وليجعلنه له . وقال قتادة فيها إن نبى الله صلى الله عليه وسلم علم أن لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان فسأل سلطانا نصيراً لكتاب الله ، ولحدود الله ، ولفرائض الله ، ولإقامة دين الله فإن السلطان رحمة من الله جعله بين أظهر عباده ولولا ذلك لأغار بعضهم على بعض فأكل شديدهم ضعيفهم قال مجاهد (سلطانا نصيراً) حجة بينة ، واختار ابن جرير قول الحسن وقتادة وهو الأرجح لأنه لابد مع الحق من قهر لمن عاداه وناوأه ولهذا يقول تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات — إلى قوله — وأنزلنا الحديد) الآية . وفى الحديث « إن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن » أى ليمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام مالا يمتنع كثير من الناس بالقرآن ومافيه من الوعيد الأكيد والتهديد الشديد وهذا هو الواقع . وقوله (وقل جاء الحق وزهق الباطل) الآية : تهديد ووعيد لكفار قريش فانه قد جاءهم من الله الحق الذى لا مرية فيه ولا قبل لهم به وهو ما بعثه الله به من القرآن والإيمان والعلم النافع وزهق باطلهم أى اضمحل وهلك ، فإن الباطل لا ثبات له مع الحق ولا بقاء (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) وقال البخارى حدثنا الحميدى حدثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن أبى معمر عن عبد الله بن مسعود قال : دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ستون وثلثمائة نصب فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا. جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد » وكذا رواه البخارى أيضا فى غير هذا الموضع ومسلم والترمذى والنسائى كلهم من طرق عن سفيان بن عيينة به ، وكذا رواه عبد الرزاق عن ابن أبى نجيح به .

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زهير حدثنا شبابة حدثنا المغيرة حدثنا أبو الزبير عن جابر رضى الله عنه قال : دخلنا مع رسول ﷺ مكة وحول البيت ثلثمائة وستون صنما تعبد من دون الله . فأمر بها رسول الله ﷺ فأكبت على وجوهها وقال « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » .

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾

يقول تعالى مخبراً عن كتابه الذى أنزله على رسوله محمد ﷺ وهو القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد إنه شفاء ورحمة للمؤمنين أى يذهب مافى القلوب من أمراض من شك ونفاق وشرك وزيغ وميل فالقرآن يشفى من ذلك كله وهو أيضا رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه فانه يكون شفاء فى حقه ورحمة ، وأما الكافر الظالم نفسه بذلك فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعدا وكفرا والآفة من الكافر لا من القرآن كقوله تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) وقال تعالى (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا * فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون * وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون) والآيات فى ذلك كثيرة ، قال قتادة فى قوله (وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين) إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه (ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) أى لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه فان الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا * قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾

يخبر تعالى عن نقص الانسان من حيث هو إلا من عصمه الله تعالى فى حالتى السراء والضراء فانه إذا أنعم الله عليه بمال وعافية وفتح ورزق ونصر ونال مايريد أعرض عن طاعة الله وعبادته ونأى بجانبه. قال مجاهد بعد عنا قلت وهذا كقوله تعالى (فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه) وقوله (فلما نجاكم إلى البر أعرضتم) وبأنه إذا مسه الشر وهو المصائب ، والحوادث والنوائب (كان يئوساً) أى قنط أن يعود يحصل له بعد ذلك خير كقوله تعالى (ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور * ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى إنه لفرح فخور * إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير) وقوله تعالى (قل كل يعمل على شاكلته) قال ابن عباس على ناحيته . وقال مجاهد على حدته وطبيعته . وقال قتادة على نيته . وقال ابن زيد دينه وكل هذه الأقوال متقاربة فى المعنى . وهذه الآية والله أعلم تهديد للمشركين ووعيد لهم كقوله تعالى (وقل للذين لايؤمنون اعملوا على مكانتكم) الآية . ولهذا قال (قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أى منا ومنكم وسيجزى كل عامل بعمله فإنه لاتخفى عليه خافية

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود رضى الله عنه قال : كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرث فى المدينة وهو متوكئ على عسيب فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح : وقال بعضهم لاتسألوه . قال فسألوه عن الروح فقالوا يامحمد ما الروح ؟ فمازال متوكئا على العسيب قال فظننت أنه يوحى اليه فقال (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) قال: فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لاتسألوه . وهكذا رواه البخارى ومسلم من حديث الأعمش به ولفظ البخارى عند تفسيره هذه الآية عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : بينا أنا أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حرث وهو متوكئ على عسيب إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقال مارابكم اليه ، وقال بعضهم لايستقبلنكم بشىء تكرهونه . فقالوا سلوه فسألوه عن الروح فأمسك النبى صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا فعلمت أنه يوحى اليه فقمت مقامى فلما نزل الوحى قال (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) الآية وهذا السياق يقتضى فيما يظهر بادى الرأى أن هذه الآية مدنية وأنها نزلت حين سأله اليهود عن ذلك بالمدينة مع أن السورة كلها مكية . وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك أو أنه نزل عليه الوحى بانه يجيبهم عما سألوه بالآية المتقدم إنزالها عليه وهى هذه الآية (ويسألونك عن الروح) ومما يدل على نزول هذه الآية بمكة ماقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا يحيى بن زكريا عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال : قالت قريش لليهود أعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل فقالوا سلوه عن الروح فسألوه فنزلت (ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) قالوا أوتينا علما كثيراً أوتينا التوراة ومن أوتى التوراة فقد أوتى خيرا كثيراً قال وأنزل الله (قل لوكان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر) الآية . وقد روى ابن جرير عن محمد بن المثنى عن عبد الأعلى عن داود عن عكرمة قال سأل أهل الكتاب رسول الله ﷺ عن الروح فأنزل الله (ويسألونك عن الروح) الآية فقالوا تزعم أنا لم نؤت من العلم إلا قليلا وقد أوتينا التوراة وهى الحكمة (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيراً) قال فنزلت (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر) الآية قال ما أوتيتم من علم فنجاكم الله به من النار فهو كثير طيب وهو فى علم الله قليل

وقال محمد بن إسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت بمكة (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أحبار يهود وقالوا يامحمد ألم يبلغنا عنك أنك تقول (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) أفعنيتنا أم عنيت قومك فقال « كلا قد عنيت » فقالوا إنك تتلو أنا أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شىء

فقال رسول الله ﷺ « هى فى علم الله قليل وقد آتاكم الله ما إن عملتم به انتفعتم » وأنزل الله (ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم)

وقد اختلف المفسرون فى المراد بالروح ههنا على أقوال (أحدها) أن المراد أرواح بنى آدم وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله (ويسألونك عن الروح) الآية وذلك أن اليهود قالوا للنبى ﷺ أخبرنا عن الروح وكيف تعذب الروح التى فى الجسد وإنما الروح من الله ولم يكن نزل عليه فيه شىء فلم يحر إليهم شيئا فأتاه جبريل فقال له (قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) فأخبرهم النبى ﷺ بذلك فقالوا من جاءك بهذا قال جاءنى به جبريل من عند الله فقالوا له والله ما قاله لك إلا عدونا فأنزل الله (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه) وقيل المراد بالروح ههنا جبريل قاله قتادة قال وكان ابن عباس يكتمه ؛ وقيل المراد به ههنا ملك عظيم بقدر المخلوقات كلها ؛ قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله (ويسألونك عن الروح) يقول الروح ملك . وقال الطبرانى حدثنا محمد بن عبد الله بن عرس المصرى حدثنا وهب بن روق بن هبيرة حدثنا بشر بن بكر حدثنا الأوزاعى حدثنا عطاء عن عبد الله بن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن لله ملكا لو قيل له التقم السموات السبع والأرضين بلقمة واحدة لفعل ، تسبيحه سبحانك حيث كنت » وهذا حديث غريب بل منكر . وقال أبو جعفر بن جرير رحمه الله حدثنى على حدثنى عبد الله حدثنى أبو مروان يزيد بن سمرة صاحب قيسارية عمن حدثه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال فى قوله (ويسألونك عن الروح) قال هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه لكل وجه منها سبعون ألف لسان لكل لسان منها سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة وهذا أثر غريب عجيب والله أعلم . وقال السهيلى روى عن على أنه قال : هو ملك له مائة ألف رأس لكل رأس مائة ألف وجه فى كل وجه مائة ألف فم فى كل فم مائة ألف لسان يسبح الله تعالى بلغات مختلفة . قال السهيلى وقيل المراد بذلك طائفة من الملائكة على صور بنى آدم ، وقيل طائفة يرون الملائكة ولا تراهم فهم للملائكة كالملائكة لبنى آدم ، وقوله (قل الروح من أمر ربى) أى من شأنه ومما استأثر بعلمه دونكم ولهذا قال (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) أى وما أطلعكم من علمه إلا على القليل فانه لا يحيط أحد بشىء من علمه إلا بما شاء تبارك وتعالى ، والمعنى أن علمكم فى علم الله قليل وهذا الذى تسألون عنه من أمر الروح مما استأثر به تعالى ولم يطلعكم عليه كما أنه لم يطلعكم إلا على القليل من علمه تعالى ، وسيأتى إن شاء الله فى قصة موسى والخضر أن الخضر نظر إلى عصفور وقع على حافة السفينة فنقر فى البحر نقرة أى شرب منه بمنقاره فقال يا موسى ما علمى وعلمك وعلم الخلائق فى علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر أو كما قال صلوات الله وسلامه عليه ولهذا قال تعالى (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) وقال السهيلى قال بعض الناس لم يجبهم عما سألوا لأنهم سألوا على وجه التعنت وقيل أجابهم . وعول السهيلى على أن المراد بقوله (قل الروح من أمر ربى) أى من شرعه أى فادخلوا فيه وقد علمتم ذلك لأنه لا سبيل إلى معرفة هذا من طبع ولا فلسفة وإنما ينال من جهة الشرع وفى هذا المسلك الذى طرقه وسلكه نظر والله أعلم . ثم ذكر السهيلى الخلاف بين العلماء فى أن الروح هى النفس أو غيرها وقرر أنها ذات لطيفة كالهواء سارية فى الجسد كسريان الماء فى عروق الشجر وقرر أن الروح التى ينفخها الملك فى الجنين هى النفس بشرط اتصالها بالبدن واكتسابها بسببه صفات مدح أو ذم فهى إما نفس مطمئنة أو أمارة بالسوء ، قال كما أن الماء هو حياة الشجر ثم يكسب بسبب اختلاطه معها اسما خاصا فإذا اتصل بالعنبة وعصر منها صار ماء مصطاراً أو خمرا ولا يقال له ماء حينئذ إلا على سبيل المجاز ، وكذا لا يقال للنفس روح إلا على هذا النحو وكذا لا يقال للروح نفس إلا باعتبار ما تؤول إليه ، فحاصل ما نقول إن الروح هى أصل النفس ومادتها والنفس مركبة منها ومن اتصالها بالبدن فهى هى من وجه لا من كل وجه وهذا معنى حسن والله أعلم . قلت وقد تكلم الناس فى ماهية الروح وأحكامه وصنفوا فى ذلك كتبا ومن أحسن من تكلم على ذلك الحافظ ابن منده فى كتاب سميناه فى الروح

﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا وَكِيلًا * إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا * قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾

يذكر تعالى نعمته وفضله العظيم على عبده ورسوله الكريم ﷺ فيما أوحاه إليه من القرآن المجيد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . قال ابن مسعود رضى الله عنه يطرق الناس ريح حمراء يعنى فى آخر الزمان من قبل الشام فلا يبقى فى مصحف رجل ولا فى قلبه آية ثم قرأ ابن مسعود (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك) الآية ثم نبه تعالى على شرف هذا القرآن العظيم فأخبر أنه لو اجتمعت الإنس والجن كلهم واتفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزله على رسوله لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوه ولو تعاونوا وتساعدوا وتظافروا فان هذا أمر لا يستطاع وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق الذى لا نظير له ولا مثال له ولا عديل له وقد روى محمد ابن إسحق عن محمد بن أبى محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت فى نفر من اليهود جاءوا رسول الله ﷺ فقالوا له إنا نأتيك بمثل ما جئتنا به فأنزل الله هذه الآية . وفى هذا نظر لأن هذه السورة مكية وسياقها كله مع قريش ، واليهود إنما اجتمعوا به فى المدينة فالله أعلم . وقوله (ولقد صرفنا للناس) الآية . أى بينا لهم الحجج والبراهين القاطعة ووضحنا لهم الحق وشرحناه وبسطناه ومع هذا فأبى أكثر الناس إلا كفورا أى جحودا للحق وردا للصواب

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾

قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير حدثنا محمد بن إسحق حدثنى شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابنى ربيعة وأبا سفيان بن حرب ورجلا من بنى عبد الدار وأبا البخترى أخا بنى أسد والأسود بن المطلب بن أسد وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبى أمية وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيها ومنبها ابنى الحجاج السهميين اجتمعوا أو من اجتمع منهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك. فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعاً وهو يظن أنه قد بدا لهم فى أمره بداء وكان عليهم حريصاً يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس إليهم ، فقالوا يا محمد : إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة فما بقى من قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك ، فان كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا ، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك بما يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك - وكانوا يسمون التابع من الجن الرئى - فربما كان ذلك بذلنا أموالنا فى طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مابى ماتقولون ، ماجئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثنى إليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم » أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما فقالوا يا محمد فإن كنت غير قابل منا ماعرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق منا بلادا ولا أقل مالا ولا أشد عيشاً منا فاسأل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليفجر فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصى بن كلاب فإنه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول حق هو أم باطل ؟ فإن صنعت ماسألناك وصدقوك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك رسولا كما تقول . فقال لهم رسول الله ﷺ « ما بهذا بعثت إنما جئتكم من عند الله بما بعثنى به فقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم فإن تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم » قالوا فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك فسل ربك أن يبعث ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وتسأله فيجعل لك جنات وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة ويغنيك بها عما نراك تبتغى فانك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما أنا بفاعل ما أنا بالذى يسأل ربه هذا وما بعثت إليكم بهذا ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا فان تقبلوا ماجئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم » قالوا فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ذلك، فانا لن نؤمن لك إلا أن تفعل . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذلك إلى الله إن شاء فعل بكم ذلك» فقالوا يا محمد أما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب فيقدم إليك ويعلمك ماتراجعنا به ويخبرك ما هو صانع فى ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به ، فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا فقد أعذرنا إليك يا محمد أما والله لا نتركك وما فعلت بناحتى نهلكك أو تهلكنا ، وقال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهى بنات الله . وقال قائلهم لن نؤمن لك حتى تأتى بالله والملائكة قبيلا. فلما قالوا ذلك قام رسول الله ﷺ عنهم وقام معه عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو ابن عمته عاتكة ابنة عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ماعرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ذلك ثم سألوك أن تعجل لهم ماتخوفهم به من العذاب فوالله لا أومن بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتى معك بصحيفة منشورة ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول وايم الله لوفعلت ذلك لظننت أنى لا أصدقك ، ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينا أسفا لما فاته مما كان طمع فيه من قومه حين دعوه ولما رأى من مباعدتهم أياه وهكذا رواه زياد بن عبد الله البكائى عن ابن إسحق حدثنى بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس فذكر مثله سواء . وهذا المجلس الذى اجتمع هؤلاء له لو علم الله منهم أنهم يسألون ذلك استرشادا لأجيبوا إليه ولكن علم أنهم إنما يطلبون ذلك كفرا وعنادا ، فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن شئت أعطيناهم ماسألوا فان كفروا عذبتهم عذاباً لا أعذبه أحدا من العالمين ، وإن شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة فقال: « بل تفتح عليهم باب التوبة والرحمة كما تقدم ذلك فى حديثى ابن عباس والزبير بن العوام أيضاً عند قوله تعالى (ومامنعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) . وقال تعالى (وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا * أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا * انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا * تبارك الذى إن شاء جعل لك خير من ذلك جنات تجرى من تحتها الأنهار ويجعل لك

قصوراً * بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً. وقوله تعالى (حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) الينبوع: العين الجارية سألوه أن يجرى لهم عينا معينا فى أرض الحجاز ههنا وههنا وذلك سهل على الله تعالى يسير لو شاء لفعله ولأجابهم إلى جميع ما سألوا وطلبوا ولكن علم أنهم لا يهتدون كما قال تعالى (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) وقال تعالى (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا) الآية . وقوله تعالى (أو تسقط السماء كما زعمت) أى أنك وعدتنا أن يوم القيامة تنشق فيه السماء وتهى وتدلى أطرافها فعجل ذلك فى الدنيا وأسقطها كسفا أى قطعاً كقولهم (اللهم إن كان هذا هو الحق من عناك فأمطر علينا حجارة من السماء) الآية وكذلك سأل قوم شعيب منه فقالوا (أسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين) فعاقبهم الله بعذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم ، وأما نبى الرحمة ونبى التوبة المبعوث رحمة للعالمين فسأل انظارهم وتأجيلهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده لايشرك به شيئا وكذلك وقع فإن من هؤلاء الذين ذكروا من أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه حتى عبد الله بن أبى أمية الذى تبع النبى ﷺ وقال له ما قال أسلم إسلاما تاما وأناب إلى الله عزوجل . وقوله تعالى (أو يكون لك بيت من زخرف) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة هو الذهب ، وكذلك هو فى قراءة ابن مسعود أو يكون لك بيت من ذهب (أوترقى فى السماء) أى تصعد فى سلم ونحن ننظر إليك (ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه) قال مجاهد أى مكتوب فيه إلى كل واحد واحد صحيفة هذا كتاب من الله لفلان بن فلان تصبح موضوعة عند رأسه ، وقوله تعالى (قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا) أى سبحانه وتعالى وتقدس أن يتقدم أحد بين يديه فى أمر من أمور سلطانه وملكوته بل هو الفعال لما يشاء إن شاء أجابكم إلى ماسألتم وإن شاء لم يجبكم وما أنا إلا رسول إليكم أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وقد فعلت ذلك وأمركم فيما سألتم الى الله عزوجل

قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا على بن إسحق حدثنا ابن المبارك حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زجر عن على ابن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال « عرض على ربى عزوجل ليجعل لى بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما ـ أو نحو ذلك ـ فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك » ورواه الترمذى فى الزهد عن سويد بن نصر عن ابن المبارك به وقال هذا حديث حسن وعلى بن يزيد يضعف فى الحديث

﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً * قُل لَّوْ كَانَ فِى الأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَّسُولاً ﴾

يقول تعالى (وما منع الناس) أى أكثرهم (أن يؤمنوا) ويتابعوا الرسل إلا استعجابهم من بعثة البشر رسلا كما قال تعالى (أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) وقال تعالى (ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا) الآية ، وقال فرعون وملؤه (أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ؟) وكذلك قالت الأمم لرسلهم (إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين) والآيات فى هذا كثيرة ، ثم قال تعالى منبها على لطفه ورحمته بعباده أنه يبعث إليهم الرسول من جنسهم ليفقهوا عنه ويفهموا منه لتمكنهم من مخاطبته ومكالمته ولو بعث إلى البشر رسولا من الملائكة لما استطاعوا مواجهته ولا الأخذ عنه كما قال تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) وقال تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) وقال تعالى (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوعليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون * فاذكرونى أذكركم واشكروالى ولاتكفرون) ولهذا قال ههنا (قل لو كان

فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين) أى كما أنتم فيها (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) أى من جنسهم. ولما كنتم أنتم بشرا بعثنا فيكم رسلنا منكم لطفاً ورحمة

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾

يقول تعالى مرشدا نبيه ﷺ إلى الحجة على قومه فى صدق ما جاءهم به إنه شاهد على وعليكم ، عالم بما جئكم به فلو كنت كاذبا عليه لانتقم منى أشد الانتقام كما قال تعالى (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) وقوله (إنه كان بعباده خبيرا بصيرا) أى عليما بهم بمن يستحق الانعام والإحسان والهداية ممن يستحق الشقاء والاضلال والازاغة ولهذا قال:

﴿ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن تصرفه فى خلقه ونفوذ حكمه وأنه لا معقب له بأنه من يهده فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه أى يهدونهم كما قال (من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا) وقوله : (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) قال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا إسماعيل عن نفيع قال سمعت أنس بن مالك يقول : قيل يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ قال «الذى أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم » وأخرجاه فى الصحيحين وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا الوليد بن جميع القرشى عن أبيه عن أبى الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسيد قال : قام أبو ذر فقال يا بنى غفار قولوا ولا تحلفوا فان الصادق المصدوق حدثنى أن الناس يحشرون على ثلاثة أفواج ، فوج راكبين طاعمين كاسين ، وفوج يمشون ويسعون ، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم إلى النار ، فقال قائل منهم هذان قد عرفناهما فما بال الذين يمشون ويسعون ؟ قال « يلقى الله عز وجل الآفة على الظهر حتى لا يبقى ظهر حتى إن الرجل لتكون له الحديقة المعجبة فيعطيها بالشارف ذات القتب فلا يقدر عليها » وقوله (عميا) أى لا يبصرون (وبكما) يعنى لاينطقون(وصما) لايسمعون وهذا يكون فى حال دون حال جزاء لهم كما كانوا فى الدنيا بكما وعميا وصما عن الحق فجوزوا فى محشرهم بذلك أحوج ما يحتاجون إليه (مأواهم)أى منقلبهم ومصيرهم (جهنم كلما خبت) قال ابن عباس سكنت ، وقال مجاهد طفئت (زدناهم سعيراً) أى لهباً ووهجا وجمرا كما قال (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) .

﴿ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾

يقول تعالى هذا الذى جازيناهم به من البعث على العمى والبكم والصمم جزاؤهم الذى يستحقونه لأنهم كذبوا (بآياتنا) أى بأدلتنا وحجتنا واستبعدوا وقوع البعث (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا) أى بالية نخرة (أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً) أى بعد ما صرنا إلى ما صرنا إليه من البلى والهلاك والتفرق والذهاب فى الأرض نعاد مرة ثانية ؟ فاحتج تعالى عليهم ونبههم على قدرته على ذلك بأنه خلق السموات والأرض فقدرته على إعادتهم أسهل من ذلك كما قال : (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) وقال (أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى

بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى) الآية وقال (أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) إلى آخر السورة . وقال ههنا (أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم) أى يوم القيامة يعيد أبدانهم وينشئهم نشأة أخرى كما بدأهم ، وقوله (وجعل لهم أجلا لا ريب فيه) أى جعل لاعادتهم وإقامتهم من قبورهم أجلا مضروبا ومدة مقدرة لا بد من انقضائها كما قال تعالى (وما نؤخره إلا لأجل معدود) وقوله (فأبى الظالمون) أى بعد قيام الحجة عليهم (إلا كفوراً) إلا تماديا فى باطلهم وضلالهم .

﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّى إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾

يقول تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه قل لهم يا محمد لو أنكم أيها الناس تملكون التصرف فى خزائن الله لأمسكتم خشية الإنفاق قال ابن عباس وقتادة أى الفقر أى خشية أن تذهبوها مع أنها لا تفرغ ولا تنفد أبداً لأن هذا من طباعكم وسجاياكم ولهذا قال (وكان الإنسان قتورا) قال ابن عباس وقتادة أى بخيلا منوعا ، وقال الله تعالى (أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا) أى لو أن لهم نصيبا فى ملك الله لما أعطوا أحدا شيئا ولا مقدار نقير والله تعالى يصف الإنسان من حيث هو إلا من وفقه الله وهداه فان البخل والجزع والهلع صفة له كما قال تعالى (إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين) ولهذا نظائر كثيرة فى القرآن العزيز ويدل هذا على كرمه وجوده وإحسانه وقد جاء فى الصحيحين « يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فانه لم يغض ما فى يمينه »

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا * قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا * فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا * وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾

يخبر تعالى أنه بعث موسى بتسع آيات بينات وهى الدلائل القاطعة على صحة نبوته وصدقه فيما أخبر به عمن أرسله إلى فرعون وهى العصا واليد والسنين والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات قاله ابن عباس وقال محمد بن كعب هى اليد والعصا والخمس فى الأعراف والطمس والحجر ، وقال ابن عباس أيضا ومجاهد وعكرمة والشعبى وقتادة هى يده وعصاه والسنين ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، وهذا القول ظاهر جلى حسن قوى ، وجعل الحسن البصرى السنين ونقص الثمرات واحدة وعنده أن التاسعة هى تلقف العصا ما يأفكون (فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين) أى ومع هذه الآيات ومشاهدتهم لها كفروا بها وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وما نجعت فيهم ، فكذلك لو أجبناهؤلاء الذين سألوا منك ماسألوا وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا إلى آخرها لما استجابوا ولا آمنوا إلا أن يشاء الله كما قال فرعون لموسى وقد شاهد منه ما شاهد من هذه الآيات (إنى لأظنك يا موسى مسحورا) قيل بمعنى ساحر والله تعالى أعلم ، فهذه الآيات التسع التى ذكرها هؤلاء الأئمة هى المرادة ههنا وهى المعنية فى قوله تعالى (وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف — إلى قوله فى تسع آيات — إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين) فذكر هاتين الآيتين العصا واليد وبين الآيات الباقيات فى سورة الأعراف وفصلها . وقد أوتى موسى عليه السلام آيات

أخر كثيرة منها ضربه الحجر بالعصا وخروج الماء منه ومنها تظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوى وغير ذلك مما أوتوه بنو إسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر ولكن ذكر ههنا التسع الآيات التى شاهدها فرعون وقومه من أهل مصر فكانت حجة عليهم فخالفوها وعاندوها كفرا وجحودا . فأما الحديث الذى رواه الإمام حدثنا يزيد حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال المرادى رضى الله عنه قال : قال يهودى لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبى حتى نسأله عن هذه الآيات (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) فقال لا تقل له نبى فإنه لو سمعك لصارت له أربع أعين فسألاه فقال النبى صلى الله عليه وسلم « لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببرىء إلى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة — أو قال لا تفروا من الزحف شعبة الشاك — وأنتم يا يهود عليكم خاصة أن لا تعدوا فى السبت » فقبلا يديه ورجليه وقالا نشهد أنك نبى قال « فما يمنعكما أن تتبعانى ؟ » قالا لأن داود عليه السلام دعا أن لا يزال من ذريته نبى وإنا نخشى إن أسلمنا أن تقتلنا يهود . فهذا حديث رواه هكذا الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن جرير فى تفسيره من طرق عن شعبة بن الحجاج به وقال الترمذى حسن صحيح . وهو حديث مشكل وعبد الله بن سلمة فى حفظه شىء وقد تكلموا فيه ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات فانها وصايا فى التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون والله أعلم ، ولهذا قال موسى لفرعون (لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر) أى حججا وأدلة على صدق ماجئتك به (وإنى لأظنك يا فرعون مثبوراً) أى هالكا قاله مجاهد وقتادة ، وقال ابن عباس ملعونا ، وقال أيضا هو والضحاك (مثبوراً) أى مغلوبا والهالك كما قال مجاهد يشمل هذا كله قال الشاعر :

إذا جارى الشيطان فى سنن الغ * ى ومن مال ميله مثبور

وقرأ بعضهم برفع التاء من قوله علمت وروى ذلك عن على بن أبى طالب ولكن قراءة الجمهور بفتح التاء على الخطاب لفرعون كما قال تعالى (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) الآية فهذا كله مما يدل على أن المراد بالتسع الآيات إنما هى ما تقدم ذكره من العصا واليد والسنين ونقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم التى فيها حجج وبراهين على فرعون وقومه وخوارق ودلائل على صدق موسى ووجود الفاعل المختار الذى أرسله ، وليس المراد منها كما ورد فى هذا الحديث فان هذه الوصايا ليس فيها حجج على فرعون وقومه وأى مناسبة بين هذا وبين إقامة البراهين على فرعون ؟ وما جاء هذا الوهم إلا من قبل عبد الله ابن سلمة فإن له بعض ماينكر والله أعلم . ولعل ذينك اليهوديين إنما سألا عن العشر الكلمات فاشتبه على الراوى بالتسع الآيات فحصل وهم فى ذلك والله أعلم وقوله (فأراد أن يستفزهم من الأرض) أى يخليهم منها ويزيلهم عنها (فأغرقناه ومن معه جميعاً وقلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض) وفى هذا بشارة لمحمد ﷺ بفتح مكة مع أن السورة مكية نزلت قبل الهجرة وكذلك وقع فإن أهل مكة هموا بإخراج الرسول منها كما قال تعالى (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها) الآيتين ولهذا أورث الله رسوله مكة فدخلها عنوة على أشهر القولين وقهر أهلها ثم أطلقهم حلما وكرما كما أورث الله القوم الذين كانوا يستضعفون من بنى إسرائيل مشارق الأرض ومغاربها وأورثهم بلاد فرعون وأموالهم وزروعهم وثمارهم وكنوزهم كما قال كذلك وأورثناها بنى إسرائيل وقال ههنا (وقلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً) أى جميعكم أنتم وعدوكم ، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك : لفيفاً أى جميعا

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن كتابه العزيز وهو القرآن المجيد إنه بالحق نزل أى متضمنا للحق كما قال تعالى (لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون) أى متضمنا علم الله الذى أراد أن يطلعكم عليه من أحكامه وأمره ونهيه وقوله (وبالحق نزل) أى ونزل إليك يا محمد محفوظا محروسا لم يشب بغيره ولا زيد فيه ولا نقص منه بل وصل اليك بالحق فانه نزل به شديد القوى الأمين المكين المطاع فى الملأ الأعلى وقوله (وما أرسلناك) أى يا محمد (إلا مبشرا ونذيرا) مبشرا لمن أطاعك من المؤمنين ونذيراً لمن عصاك من الكافرين ، وقوله (وقرآنا فرقناه) أما قراءة من قرأ بالتخفيف فمعناه فصلناه من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل مفرقا منجما على الوقائع إلى رسول الله ﷺ فى ثلاث وعشرين سنة ، قاله عكرمة عن ابن عباس . وعن ابن عباس أيضا أنه قرأ فرقناه بالتشديد أى أنزلناه آية آية مبينا مفسرا ولهذا قال (لتقرأه على الناس) أى لتبلغه الناس وتتلوه عليهم أى (على مكث) أى مهل (ونزلناه تنزيلا) أى شيئاً بعد شىء

﴿ قُلْ ءَامِنُوا بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ (قل) يا محمد لهؤلاء الكافرين بما جئتهم به من هذا القرآن العظيم (آمنوا به أولا تؤمنوا) أى سواء آمنتم به أم لا فهو حق فى نفسه أنزله الله ونوه بذكره فى سالف الأزمان فى كتبه المنزلة على رسله ، ولهذا قال (إن الذين أوتوا العلم من قبله) أى من صالحى أهل الكتاب الذين تمسكوا بكتابهم ويقيمونه ولم يبدلوه ولا حرفوه (إذا يتلى عليهم) هذا القرآن (يخرون للأذقان) جمع ذقن وهو أسفل الوجه (سجدا) أى لله عز وجل شكرا على ما أنعم به عليهم من جعله إياهم أهلا إن أدركوا هذا الرسول الذى أنزل عليه هذا الكتاب ، ولهذا يقولون (سبحان ربنا) أى تعظيما وتوقيراً على قدرته التامة وأنه لا يخلف الميعاد الذى وعدهم على ألسنة الأنبياء المتقدمين عن بعثة محمد ﷺ ولهذا قالوا (سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا) وقوله (ويخرون للأذقان يبكون) أى خضوعا لله عز وجل وإيمانا وتصديقاً بكتابه ورسوله (ويزيدهم خشوعاً) أى إيمانا وتسليما كما قال (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقوله (ويخرون) عطف صفة على صفة لا عطف السجود على السجود كما قال الشاعر :

إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المنكرين صفة الرحمة لله عز وجل المانعين من تسميته بالرحمن (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) أى لا فرق بين دعائكم له باسم الله أو باسم الرحمن فانه ذو الأسماء الحسنى كما قال تعالى (هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم — إلى أن قال — له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض) الآية ، وقد روى مكحول أن رجلا من المشركين سمع النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول فى سجوده « يا رحمن يا رحيم » فقال إنه يزعم أنه يدعو واحداً وهو يدعو اثنين فأنزل الله هذه الآية ، وكذا روى عن ابن عباس رواها ابن جرير ، وقوله (ولا تجهر بصلاتك) الآية . قال الإمام أحمد حدثنا هشيم حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوار

بمكة (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن وسبوا من أنزله ومن جاء به قال: فقال الله تعالى لنبيه ﷺ (ولا تجهر بصلاتك) أى بقراءتك فيسمع المشركون فيسبون القرآن (ولا تخافت بها) عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك (وابتغ بين ذلك سبيلا) أخرجاه فى الصحيحين من حديث أبى بشر جعفر بن إياس به، وكذا رواه الضحاك عن ابن عباس وزاد فلما هاجر إلى المدينة سقط ذلك يفعل أى ذلك شاء، وقال محمد بن إسحق حدثنى داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جهر بالقرآن وهو يصلى تفرقوا عنه وأبوا أن يسمعوا منه وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو وهو يصلى استرق السمع دونهم فرقاً منهم فإذا رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يسمع فان خفض صوته ﷺ لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئا فأنزل الله (ولا تجهر بصلاتك) فيتفرقوا عنك (ولا تخافت بها) فلا يسمع من أراد أن يسمع ممن يسترق ذلك منهم فلعله يرعوى إلى بعض ما يسمع فينتفع به (وابتغ بين ذلك سبيلا) وهكذا قال عكرمة والحسن البصرى وقتادة نزلت هذه الآية فى القراءة فى الصلاة، وقال شعبة عن أشعث بن سليم عن الأسود بن هلال عن ابن مسعود (ولا تخافت بها) من أسمع أذنيه قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال نبئت أن أبا بكر كان إذا صلى فقرأ خفض صوته وأن عمر كان يرفع صوته فقيل لأبى بكر لم تصنع هذا؟ قال أناجى ربى عز وجل وقد علم حاجتى، فقيل أحسنت. وقيل لعمر لم تصنع هذا؟ قال أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان، قيل أحسنت فلما نزلت (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) قيل لأبى بكر ارفع شيئاً، وقيل لعمر اخفض شيئاً، وقال أشعث بن سوار عن عكرمة عن ابن عباس نزلت فى الدعاء، وهكذا روى الثورى ومالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أنها نزلت فى الدعاء وكذا قال مجاهد وسعيد ابن جبير وأبو عياض ومكحول وعروة بن الزبير، وقال الثورى عن ابن عياش العامرى عن عبد الله بن شداد قال كان أعرابى من بنى تميم إذا سلم النبى صلى الله عليه وسلم قال «اللهم ارزقنى إبلا وولداً» قال فنزلت هذه الآية (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) (قول آخر) قال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا حفص بن غياث عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها نزلت هذه الآية فى التشهد (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) وبه قال حفص عن أشعث بن سوار عن محمد بن سيرين مثله (قول آخر) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال لا تصل مرآة للناس ولا تدعها مخافة الناس، وقال الثورى عن منصور عن الحسن البصرى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال لا تحسن علانيتها وتسىء سريرتها وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن الحسن به وهشام عن عوف عنه به وسعيد عن قتادة عنه كذلك (قول آخر) قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله (وابتغ بين ذلك سبيلا) قال أهل الكتاب يخافتون ثم يجهر أحدهم بالحرف فيصيح به ويصيحون هم به وراءه فنهاه أن يصيح كما يصيح هؤلاء وأن يخافت كما يخافت القوم ثم كان السبيل الذى بين ذلك الذى سن له جبريل من الصلاة. وقوله (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً) لما أثبت تعالى لنفسه الكريمة الأسماء الحسنى نزه نفسه عن النقائص فقال (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك) بل هو الله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد (ولم يكن له ولى من الذل) أى ليس بذليل فيحتاج إلى أن يكون له ولى أو وزير أو مشير بل هو تعالى خالق الأشياء وحده لاشريك له ومدبرها ومقدرها بمشيئته وحده لاشريك له قال مجاهد فى قوله (ولم يكن له ولى من الذل) لم يحالف أحدا ولم يبتغ نصر أحد (وكبره تكبيرا) أى عظمه وأجله عما يقول الظالمون المعتدون علوا كبيراً، قال ابن جرير حدثنى يونس أنبأنا ابن وهب أخبرنى أبو صخر عن القرظى انه كان يقول فى هذه الآية (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً) الآية قال إن اليهود والنصارى قالوا اتخذ الله ولدا وقالت العرب: لبيك لاشريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك. وقال الصابئون والمجوس لولا أولياء

الله لذل فأنزل الله هـذه الآية (وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيراً) وقال أيضاً حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن النبي صلى لله عليه وسلم كان يعلم أهله هذه الآية (الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً) الآية ، الصغير من أهله والكبير . قلت وقد جاء فى حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمى هذه الآية آية العز وفى بعض الآثار أنها ماقرئت فى بيت فى ليلة فيصيبه سرق أو آفة والله أعلم ، وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا بشر بن سيحان البصرى حدثنا حرب بن ميمون حدثنا موسى بن عبيدة الزبيدى عن محمد بن كعب القرظى عن أبى هريرة قال خرجت أنا ورسول الله ﷺ ويده فى يدى أويدى فى يده فأتى على رجل رث الهيئة فقال « أى فلان ما بلغ بك ما أرى ؟ » قال السقم والضر يارسول الله قال « ألا أعلمك كلمات تذهب عنك السقم والضر ؟ » قال بلى ، مايسرنى أن شهدت بها معك بدرا أو أحدا ، قال فضحك رسول الله ﷺ وقال « وهل يدرك أهل بدر وأهل أحد ما يدرك الفقير القانع ؟ » قال: فقال أبو هريرة يارسول الله إياى فعلمنى قال « فقل يا أبا هريرة توكلت على الحى الذى لايموت ، الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيراً » قال فأتى على رسول الله وقد حسنت حالى قال : فقال لى « مهيم » قال قلت يا رسول الله لم أزل أقول الكلمات التى علمتنى ، إسناده ضعيف وفى متنه نكارة والله أعلم . آخر تفسير سورة سبحان ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الكهف وهى مكية ﴾

﴿ ذكر ما ورد فى فضلها والعشر الآيات من أولها وآخرها وأنها عصمة من الدجال ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا محمد ابن جعفر حدثنا شعبة عن أبى إسحق قال سمعت البراء يقول : قرأ رجل الكهف وفى الدار دابة فجعلت تنفر فنظر فإذا ضبابة أو سحابة قد غشيته فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال « اقرأ فلان فانها السكينة تنزل عند القرآن أو تنزلت للقرآن » أخرجاه فى الصحيحين من حديث شعبة به وهذا الرجل الذى كان يتلوها هو أسيد بن الحضير كما تقدم فى تفسير سورة البقرة . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا همام بن يحي عن قتادة عن سالم بن أبى الجعد عن معدان ابن أبى طلحة عن أبى الدرداء عن النبي ﷺ قال « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال » رواه مسلم وأبو داود والنسائى والترمذى من حديث قتادة به ، ولفظ الترمذى « من حفظ ثلاث آيات من أول الكهف » وقال حسن صحيح ، (طريق أخرى) قال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شعبة عن قتادة سمعت سالم بن أبى الجعد يحدث عن معدان عن أبى الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال » ورواه مسلم أيضاً والنسائى من حديث قتادة به ، وفى لفظ النسائى « من قرأ عشر آيات من الكهف » فذكره ، (حديث آخر) وقد رواه النسائى فى اليوم والليلة عن محمد بن عبد الأعلى عن خالد عن شعبة عن قتادة عن سالم بن أبى الجعد عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف فإنه عصمة له من الدجال » فيحتمل أن سالما سمعه من ثوبان ومن أبى الدرداء وقال أحمد حدثنا حسين حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نوراً مابين السماء والأرض » انفرد به أحمد ولم يخرجوه ، وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه فى تفسيره بإسناد له غريب عن خالد ابن سعيد بن أبى مريم عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضىء له يوم القيامة وغفر له مابين الجمعتين » وهذا الحديث فى رفعه نظر وأحسن أحواله الوقف . وهكذا روى الإمام سعيد بن منصور فى سننه عن هشيم بن بشير عن أبى هاشم عن أبى مجلز عن قيس بن عباد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور مابينه وبين البيت العتيق . هكذا وقع موقوفا ، وكذا رواه الثورى عن أبى هاشم به من حديث أبى سعيد الخدرى